

5 me Année; No. 206

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 14 - 6 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٠٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ — ١٤ يونية سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

صفحة

٩٦١ أدب السندوتش . . . . . . : أحمد حسن الزيات
٩٦٣ ندرة البطولة . . . . : الأستاذ أحمد أمين
٩٦٥ آلعلم للعلم ، أم العلم للوطن. : الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى
٩٦٩ فى الحب وتهيؤ النفس له . : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٩٧٤ رسوم البيعة والتتويج فى عهد الدولة الفاطمية . . . . . . } الأستاذ محمد عبد الله عنان
٩٧٦ دموع الحب . . . . : الأستاذ يوسف البعيني
٩٧٩ أثر المرأة فى الأدبين العربى والانجليزي . . . . } الأستاذ فخرى أبو السعود
٩٨٢ الاسلام والديمقراطية . . . : الأستاذ عبد المجيد نافع
٩٨٦ الفلسفة الشرقية بحوث تحليلية : الدكتور محمد غلاب
٩٨٨ مصطفى الرافعى . . . . . . : الأستاذ محمد حسين زيدان
٩٨٩ أدب الرافعى أدب ممتاز . . : للسيد كمال الحريرى
٩٩١ أى اسبانيا ! . . . . : الأديب حسين شوقى
٩٩٢ هياكل بعلبك (قصيدة) . : الأستاذ أمجد الطرابلسى
٩٩٣ إلى عصفورة « : الأستاذ خليل هنداوى
٩٩٤ هلموا يا شباب ! . . . . . :
٩٩٤ حول توجيه الشباب . . . : الأستاذ كامل بركات
٩٩٦ تقدير صحيفة ألمانية لأمة سامية ـ كتاب عن تاليران :
٩٩٧ من نفائس أوراق البردى ـ المكاتب العامة فى فرنسا ـ المؤتمر الدولى لكتاب اللغة الفرنسية من الأجانب .
٩٩٩ غريب القرآن (كتاب). : س
٩٩٩ شرح الايضاح « : ب ـ ص
١٠٠٠ بغداد أو المدينة المدورة « : الأستاذ ابراهيم الواعظ

أدب السندوتش

لعلك تقول لنفسك سائلا أو هازلا ما علاقة الأدب بالسندوتش ؟ ولو كنت أريد الأدب الذى تعارفه أولو الجد من الناس لأعيا نفسك وأعيانى أن ندلك على هذه العلاقة . ولكننى أريد الأدب الذى تتأدبه ناشئة اليوم ؛ والسندوتش أو الشطيرتان بينهما الكامخ كما يريدون أن نقول ، لقيمات تشتريها وأنت واقف فى المطعم ، وتأكلها وأنت ماش فى الطريق ، وتهضمها وأنت قاعد فى المكتب ، فلا تجد لها بين ذهول العجلة وتفكير العمل هناءة فى ذوقك ولا مراءة فى جوفك. وهذا الضرب من الطعام القائم على القطف والخطاف جنى على الأسرة فحرمها لذة المؤاكلة ومتعة المنادمة وأنس العشرة ؛ وجنى على المائدة فسلبها فن الطاهى وذوقها المنظم وجلستها البهيجة ؛ وجنى على الصحة فأضعف الشهوة وأفسد الهضم ونقص العافية . والثقافة الأدبية اليوم لا تختلف فى سرعتها وتفاهتها وفسادها عن هذا النوع الجديد من الأكل ، فهى تنفات من الكتب ، ولقفات من الصحف ، وخطفات من الأحاديث ، ومطالعات فى القهوة أو فى الترام أو فى السرير يلقط الكلم فيها النظرُ الخاطف ، كما يلقط الحب الطائر الفزع ، ثم تتاج مختضَر معتسَر كجنين الحامل أسقطته قبل التمام ،

وصراخ مزعج فى أذنى هذا السَّقط ليستهل وهو مضغة من اللحم المسيخ لا تشعر ولا تنبض ، وأصبح مآل غرفة المكتب فى البيت كمآل غرفة الطعام وقاعة الجلوس فيه ، بغى عليها سندوتش الصحيفة كما بغى على هاتين سندوتش البار والقهوة

يقول أنصار السندوتش فى الحياة : ان المائدة لا تتفق مع الزمن الدافق والعمل المتصل والتطور المستمر والحركة السريعة ؛ فان فى طول الجلوس اليها ، وقواعد الأكل عليها ، وتعدد الألوان فيها ، واحتفال الأسرة لها ، إضاعة للمال والوقت ، وقتلا للنشاط والحركة ، وجلباً للسقام والمرض .

ويقول أنصار السندوتش فى الأدب : ان قواعد اللغة قيود لا توافق حرية العصر ، وأساليب البلاغة عوائق لا تجارى قراءة السرعة ، وبدائع الفن شواغل لا تساعد وفرة الانتاج . والحق الصريح أن آكلى السندوتش أعجلتهم محاقر العمل ومشاغل الرزق عن النعيم الآمن ، والجَمام الخصب ، والبيت المطمئن ، فجعلوا صعلكة المطاعم نظاماً وفلسفة ؛ وأن قارئى السندوتش صرفتهم وعوثة الطريق وتكاليف الغاية عن اكتساب الملكة ، وتحصيل الأداة ، وتوفير المعرفة ، فقنعوا بهذا الفتات المتخلف ثم تحشأوا من غير شبع ، وتشدقوا من غير علم ، وطلبوا محو القيود والحدود والمقاييس ليصبح الأدب كوناً عاماً والفن حمى مباحاً ، فيسموا راوى الأقاويل قصصياً ، ووزان التفاعيل شاعراً ، ونهاش الأعراض ناقدا ، وسلاب القرائح نابغة ؛ ولكن الطبيعة التى تحفظ سر الكمال ، وتحمى ندرة النبوغ ، وتبغى بقاء الأصلح ، تأبى إلا أن يظل قراء السندوتش وآكلو السندوتش فقراء ذوى عمل ، أو أغنياء ذوى لهو ، لا تهيئهم الحياة المضطربة إلى زعامة فى أمر ولا إلى نبوغ فى فكرة

* * *

أثار هذا الموضوع فى ذهنى طائفة من الرسائل النقدية تلقيتها من أقطار العربية تستنكر بعض ما تظهر المطابع المصرية من لغو الكهول وعبث الشباب ، وتشدد النكير على بعض الاحاديث الأدبية التى تبثها الاذاعة اللاسلكية ، وبعجب فاضل من بغداد وأديب من حلب كيف تمتهن مصر كرامتها فترفع صوتها الأدنى فى العالم من فم شاعر له ديوان مطبوع وذكر مرفوع ثم لا يدرى شيئاً فى قواعد اللغة ولا ضوابط العروض ، فكان يقرأ النثر ولا يقيم لسانه ، وينشد الشعر ولا يضبط ميزانه ، حتى قالوا والعهدة عليهم إنه أنشد قصيدة ابن سعيد المغربى ، وهى من بحر السريع على روى الكاف الساكنة ، ففتح الكاف وجعل صدور الأبيات من بحر وأعجازها من بحر آخر !

الواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل ، فاذا استثنيت هؤلاء الستة أو السبعة وهم من الكهول الراحلين ، وجدت طبقة الأدباء كطبقات الصناع والزراع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة لا بالدرس والمعاناة ؛ وكما تجد فى هؤلاء من ينشىء المتجر ثم يكله إلى أجنبى ينظمه ويرتبه ، تجد فى أولئك من يؤلف الكتاب ثم يدفعه إلى نحوى يعربه ويهذبه . ولا تجد فى تاريخ العربية قبل هذا العصر ، ولا فى تاريخ اللغات فى جميع العصور ، من يحسب نفسه أديباً فى لغة وهو لا يعرف منها إلا ما يعرفه العامى الألف . والغرور المتبجح والادعاء السفيه لا يستطيعان أن يحملا الناس على أن يقرأوا السخف ، ولا الزمن على أن يبقى على الضعيف .

إن رسالة الأدباء كرسالة الانبياء فيها عبقرية وجلالة وسمو . فاذا لم يكن الكاتب أو الشاعر خليقا أن يسيطر على العقول والميول بمكانه فى العلم وسلطانه فى الأدب ورجحانه فى الرأى كان أشبه بمن يدعى النبوة فى مكة ، أو بمن يمارس الشعوذة فى لندن !

إن المدارس المصرية تعلم اللغة على منهاج غير واضح ، والجامعة المصرية تبنى الأدب على أساس غير صالح ، والجامعة الأزهرية لا تزال تنفض البلى عن كتب ملتاثة التعبير من مخلفات العجمة ، إن صلحت لشىء فلن تصلح لتعليم البلاغة . فليت شعرى اذا خلت أمكنة هؤلاء النفر الذين نبغوا بالاستعداد والاجتهاد كيف تكون حال الأدب الرفيع فى مصر ؟ أيذهبون وبُطئان ما يُعوضون على رأى الأستاذ احمد أمين ، أم يذهبون وسرعان ما يُخلَفون على رأى الأستاذ العقاد ؟

احمد حسن الزيات

ندرة البطــولة

للأستاذ أحمد أمين

كتب الكاتب القدير الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا رد فيه على مقالتي في « ندرة البطولة » ، وأنا سعيد حقاً بهذا الرد الممتع ، فقد أبان فيه جانباً من جوانب الموضوع ، وأوضحه أيما إيضاح ، ودعمه بالحجج والبراهين القوية

وحبذا لو اتخذ هذا المقال مثلا للناقدين ، فيناقشون مايعرض من الأفكار في هدوء وجد وتفكير عميق وأسلوب مهذب ، ولا يكون لهم غرض إلا الوصول إلى الحق وتجليته

ثم نعود بعد إلى موضوعنا ، فيخيل إلى أن ليس بيني وبين الأستاذ العقاد خلاف إلا في مسألة واحدة متى حددت ظهر وجه الصواب وانكشف جانب الحق

تلك هي تحديد ما نريد بالنابغة أو البطل ، وما نريد بالمقارنة بين العصر الماضي والعصر الحاضر .

مقياس النابغة في نظري أن يفوق أهل زمانه ويسبقهم في فنه أو علمه أو أدبه حتى لا يدركوه إلا بعد أزمان ؛ وعلى مقدار هذا السبق يكون النبوغ . فسيبويه نابغة في النحو لأنه رأى من قواعده ما عجز أهل زمانه عن النظر إليه ، وفاقهم في ذلك بمراحل ؛ وإسحق الموصلي نابغة لأنه ابتدع من الفن مالم يعرفه فنانو عصره ، وكان في ذلك هو السباق وهم المقلدون . وقل مثل ذلك في الجاحظ وابن الرومي وشكسبير وجوته .

فأما إن هو عرف ما يعرفه أهل زمانه ، أو أتى من الفن بما يأتيه أهل زمانه ، فلسنا نسميه نابغة وإنما نسميه عالما أو فناناً

هذه مسألة ، والمسألة الأخرى أننا إذا أردنا أن نقارن عصراً بعصر في كثرة النبوغ وندرته ، فلا نقارن معلومات عصر بمعلومات عصر ، ولا فن عصر بفن عصر ، إنما نقارن مسافة البعد بين النابغين في عصر وبين عامة المتعلمين فيه ؛ ونفعل مثل ذلك في العصر الذي نريد أن نقارنه به . فاذا أردنا المقارنة بين العصر العباسي الأول – مثلا – وبين عصرنا الحاضر في الأدب ، وازنا بين ابن المقفع والجاحظ وبشار وأبي نواس ، وبين الكتاب العاديين والشعراء العاديين في ذلك العصر ، وقسنا مسافة البعد بينهم ؛ ثم فعلنا مثل ذلك في عصرنا الحاضر ، فان كانت مسافة البعد بين البارزين والعاديين في العصر العباسي أطول منها بين البارزين والعاديين في عصرنا حكمنا بأن البارزين في العصر العباسي أنبغ

هذا في رأيي أعدل في الحكم ، وأقرب إلى الصواب ؛ وإلا لم يعد أي نابغة من نوابغ العصر الماضي نابغة ؛ فتلميذ المدارس الثانوية اليوم يعرف من قواعد النحو مالم يكن يعرفه سيبويه ، ويعرف من الطبيعة مالم يكن يعرفه « نيوتن » ؛ وتلميذ الهندسة اليوم يعرف من نظريات الهندسة ما لم يكن يعرفه إقليدس ، ويعرف من الهندسة التحليلية ما لم يكن يعرفه ديكارت ؛ وقد يكون من كتابنا اليوم من يجيد الكتابة خيرا من ابن المقفع والجاحظ ، ولكن قيمة سيبويه ونيوتن وإقليدس وديكارت وابن المقفع والجاحظ ليست في مقارنتهم بأمثالهم في عصرنا ، ولكن بمجموعة المتعلمين في عصرهم ، ثم بموازنة ذلك في عصرنا على هذا النمط وهذا المنهج . فنقطة المقارنة هي مسافة البعد ، لا مجموعة المعارف ولا المقدرة الفنية أو السياسية أو الحربية . هذه هي نظريتي ، فأنا أدعي أن العصر الحاضر تندر فيه البطولة ويقل فيه النبوغ بهذا المعنى

فلا يسألني الأستاذ بعد ذلك « ما كتاب الجاحظ الذي يعجز أبناء عصرنا عن الاتيان بمثله ؟ »

ولا يقل : « إن الموصلي وابراهيم بن المهدي لا يبلغان شأو سلامة حجازي والسيد درويش وأم كلثوم »

ولا يذكر أن فوش وهندنبرج ومصطفى كمال أتوا من الوقائع ما يفوق ما أتى به يوليوس قيصر واسكندر المقدوني وجنكيزخان ... الخ

فكل الذي ذكره الأستاذ حق ، ولكنه لا ينقض ما ادعيت . قد كان ينقضه لو أنني ادعيت أن النبوغ هو إتيان الآخر بخير مما أتى به الأول ؛ ولو ادعيت ذلك لكانت دعوى ظاهرة البطلان ، ولكان ابني في المدارس الثانوية خيراً من رياضيي القرون الوسطى ، فهو يعرف مالم يعرفوا ، وأنبغ من كل علماء البلاغة في العصر العباسي الأول لأنه يعرف من مصطلحات

البلاغة مالم يعرفوا ؛ وهكذا فى كل علم وكل فن

أخشى أن أكون فى مقالى السابق لم أوضح القصد ، ولم أجل الغرض ؛ أما الآن فأظن أن الأستاذ يوافقنى بعد هذا التحديد على نظريتى ؛ فعندنا كتاب قديرون يفوقون الجاحظ فى كتابتهم وفى تأليفهم ، ولكنهم مع ذلك لم ينبغوا نبوغ الجاحظ ، فقد كان بصيراً بين عميان ، وصاحيا بين سكارى ، وفى القمة ومن حوله فى القاع ؛ ولكن كتابنا إن فاق منهم عدد قليل فحولهم كثير مقاربون ؛ وإن نبغ فى عصرنا قانونى فليس هو فى السماء ومن عداه فى الأرض كما كان الشأن فى القرون الماضية ، ولكنك ترى قانونيين مثله أو قريبين منه ومسافة البعد ليست واسعة

والعالم الآن متخم بالعلماء المتبحرين ، والساسة الماهرين ، والفنانين المبدعين ، والحربيين القادرين ، والصناع الحاذقين ، ولكن من العسير جداً أن تعد منهم نوابغ لأن كل طائفة منهم تكاد تكون كأسنان المشط فى الاستواء ، وإن فاق واحد منها فتفوق قليل

ظهر نابليون فاستعبد الناس ، وأجرى الدماء أنهارا ، وقلب الممالك رأسا على عقب ، ودوخ الدنيا ، فكان نابغة حقاً فى ناحية ؛ وبيننا الآن فى عصرنا من هم أعلم منه بفنون الحرب ومن هم أقوى منه إرادة ، وأبعد نظرا ، ولكن من الصعب أن نسميهم نوابغ ، لأن الناس ليسوا مغفلين كما كانوا أيام نابليون ، ولأنه وحده كان هو القاهر المريد ومن حوله كانوا هم المنفذين المأمورين ، فظهر ولم يظهروا ، ونبغ ولم ينبغ بجانبه إلا قليل

لقد أتى عصرنا بالعجائب — كما يقول الاستاذ — « وأتى بالحقائق التى تشبه الخيال ، وبالعبر التى تشبه نوادر الأمثال » ولكن كل ذلك — مع الأسف — لا يسمى نبوغا بالمعنى الذى نقصده ، لأنها قد كثرت حتى صارت مألوفة معتادة . هل اذا كثر الصناع الماهرون فى بلدة سميتهم كلهم نوابغ ؟ أم هل اذا كثر القانونيون البارعون فى فرنسا سميتهم كلهم نوابغ ؟ أو هل إذا كثر الفلاسفة المتعمقون فى ألمانيا كانوا كلهم نوابغ ؟ كلا ليس هذا هو مصطلحنا فى الحياة ، فالبلدة التى يكثر فيها الجمال يكون الجمال فيها عاديا مألوفا ، والحقل الذى تطول أكثر أشجاره وتنمو نمواً جيدا لا يمكننا أن نسبغ صفة التفوق عليها جميعاً وهكذا

فكثرة العلماء والفنانين فى عصرنا الحاضر حجة لى لا علىّ ، وهى السبب فى أننا لا نعدم نابغين ولا أبطالا . ولو كان واحد منهم فى الزمن القديم ، وكان وحده هو البارز وهو السائد لكان وحده هو النابغ . فلو كانت المسألة مسألة تقدم عصرنا وتفوقه على الأعصر الماضية فى سياسة جميع العلوم والفنون لوافقتك على ذلك كل الموافقة ، ولكن المسألة هى مسألة النبوغ في العصر . فلو قارنت مزرعة بمزرعة وكانت كل أشجار إحدى المزرعتين ضعيفة وكل أشجار الأخرى قوية نامية لقلت بلا تحرج وبالبداهة إن المزرعة الثانية خير من الأولى ، وإنها تفوقها بمراحل ؛ ولكن لو سئلت هل فى المزرعة الثانية شجرة متفوقة على أقرانها لقلت بالبداهة أيضا « لا » بملء فى .

فعصرنا كذلك غنى بكل مرافق الحياة ، غنى بالرجال فى كل علم وفن ، ولكن هذا الغنى سلبه النبوغ أيضاً ، فكان عجيباً أن نرى الغنى علة الفقر ، والتخمة سبب الجوع .

لقد انقسم كل مجتمع إلى طوائف ، وكان من نتائج المدنية الحديثة زيادة التخصص ، فكما تخصص الصناع فى جزء خاص من الصناعة تخصص علماء كل علم لفرع منه ، فصار من المضحك أن يكون الرجل قانونيا فى كل فروع القانون ، أو طبيباً فى كل فروع الطب ، أو أديباً فى كل فنون الأدب ؛ ونشأ عن هذا التخصص توفر العدد الكثير على كل فرع من فروع العلم والفن وإتقانهم له ؛ فحيثما تلفت وجدت العدد الذى لا يحصى فى الأمم المتمدنة فى كل نوع وكل فرع وكل صناعة . ونتج من ذلك أن ما كان يسمى نبوغاً فى العصور الماضية أصبح اليوم شيئاً عادياً مألوفاً ، فعز النبوغ وندرت البطولة - ولم نعد نرى أمثال الجاحظ الذى يؤلف فى الأدب والاجتماع والجغرافيا والتاريخ والمذاهب الدينية والطب والنفس والحيوان والاقتصاد ؛ وصار الاقتصار على مادة واحدة بل فرع من مادة بل جزء من فرع . هو المنهج العلمى الصحيح ، وهذا أغنى العلم وسهل للعدد الوفير أن يصل إلى شأو بعيد وفى الوقت نفسه كان سبباً لقلة النبوغ . فالنبوغ يكثر حيث يعز الشبيه

هذا من ناحية العلماء أنفسهم وكثرتهم ، وهناك ناحية أخرى وهى ناحية الناس الذين يحكمون بالنبوغ ، فلا بد للنبوغ من نابغ وحاكم بالنبوغ ، كما لا بد للجميل من ناظر ومنظور . فهؤلاء الناس أصبحوا - على العموم - مثقفين ثقافة عامة خيراً مما كانوا عليه فى العصور الماضية . اتسعت معارفهم ودقت أنظارهم ، وكان لهم أيضا شبه تخصص ، فمنهم من يميل الى الأدب ، ومنهم من يميل إلى العلم ، ومنهم من يميل إلى الفن ، وأصبح الفرق بينهم وبين العلماء المتخصصين أقل بكثير من الفرق الذى كان بين العامة والعلماء فى العصور الماضية ؛ وكذلك شأنهم فى السياسة ، بل شأنهم فى السياسة خير من شأنهم فى العلم ، كل يعرف حقوقه وواجباته السياسية ، ويستطيع أن يزن قادته وزناً صحيحاً إلى حد ما .

كل هذا أنتج نتيجتين بعيدتى الأثر ، أولاهما أنهم أصبحوا يتطلبون من النابغة ما يشبه المستحيل حتى يعد فى نظرهم نابغة ، وقد كان ذلك فيما مضى سهلا يسيرا ، فمن عاش فى الظلماء يبهره نور القنديل ، ومن عاش فى ضوء الكهرباء لا يبهره ضوء الشمس ؛ والثانية أن الناس أصبحوا متسائلين مدققين باحثين لا يستطيع السياسى القدير أن يتلاعب بهم وأن يجعلهم آلة صماء كما كانوا من قبل . من أجل هذا لا نرى كبار الساسة اليوم يستطيعون أن يخضعوا الناس لأمرهم كما فعل نابليون ويوليوس قيصر وجنكيز خان وأمثالهم ، وعدم الخضوع وكثرة البحث والسؤال والتدقيق يقلل من مجد الساسة ، ولا يرفعهم إلى درجة الآلهة وأنصاف الآلهة كما كان الشأن فى سالف الزمان ؛ ومثل هذا يقال فى كل علم وكل فن

فعصرنا الحاضر ، طابعه طابع المألوف والمعتاد لا طابع النابغة والبطل ، وإن كان مألوفنا ومعتادنا أرقى من نابغة القرون الماضية وبطل القرون الماضية

إن كان هذا - يا أخى - هو الذى أردتَ فأظن أنه لا يرد على بمزايا العصر الحاضر ، وعلم العصر الحاضر ، وفن العصر الحاضر ؛ وإذا كان النبوغ فى السبق وكانت المقارنة بين عصرين بقياس مسافتى البعد ، فأرجو أن نكون على وفاق فيما ذكرتَ وذكرتُ ، وسلامى عليك ورحمة الله

أحمد أمين

آلعلم للعلم ، أم العلم للوطن

بوسيلة دراسة التاريخ ؟

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى

— ١ —

رغب إلى بعض الشباب أن أدلى برأيى فى موضوع « هل العلم للعلم أم العلم للوطن - بوسيلة دراسة التاريخ » وهو الذى استفتت المفكرين فيه الرابطة العربية ، فكتبت هذا المقال متوخياً فيه بيان الرأى على وجه عام ، غير متصد لمناقشة رأى خاص . وقد رأيت نشره بالرسالة الصديقة ليتسع مدى المناقشة فى هذه المسألة بتنوع المجال

أبو خلدون

أنا لا أعترض على من يقول إن « العلم للعلم » ؛ واسلم بأن « الابحاث العلمية ، يجب ان تكون غايتها « معرفة الحقيقة » ، معرفة مجردة عن كل الاعتبارات النفعية .

غير أنى أقول فى الوقت نفسه إن العلم شىء والتعليم شىء آخر ، فما يصح فى « العلم » ، قد لا يصح فى « التعليم » .

فعند ما نقول « العلم للعلم » ، لا يتحتم علينا - منطقياً - ان نقول فى الوقت نفسه « التعليم للتعليم » . وعندما نسلم بأن « العلم لذاته لا لشىء غيره » ، لا يلزمنا التسليم فى الوقت نفسه بان « التعليم أيضا لذاته ، لا لشىء غيره » .

فان مبدأ « العلم للعلم » لا يمنعنا من القول بان « التعليم ليس من الأمور المقصودة بالذات ، بل هو من الوسائل التى تستخدم للوصول الى بعض الغايات . »

ان هذه الغايات لا تكون « مادية ونفعية » فى كل الأحيان ، بل تكون « معنوية وتربيوية » فى معظم الأحوال : فقد يقصد من التعليم « إعطاء بعض المعلومات المفيدة للحياة » فى بعض الأحوال ؛ غير أنه يقصد منه - فى كثير من الأحيان - « الحصول على بعض الفوائد المعنوية والتأثيرات التربيوية » ، كالتعويد على البحث والملاحظة ، والترغيب فى الدرس والمطالعة ، أو تنمية الميول الفنية واستثارة العواطف النفسية . . . وأما التعليم الذى يتجرد عن مثل هذه الاهداف والغايات ، فانه يكون مخالفا لأسس التربية الصحيحة مخالفة كلية .

ويمكننا أن نقول: «ان قيمة التعليم تقاس بقيمة الغايات التى تقصد به من جهة، وبجودة الطرق التى تتبع فى خلاله من جهة أخرى». ولا نغالى اذا قلنا: ان «الغايات» فى هذا الشأن تكون أهم من «الطرق» بوجه عام؛ لأن «الطريقة تتبع الغاية وتخضع لمقتضياتها» بطبيعة الحال.

هذا، ومما تجب ملاحظته فى هذا الباب أن تعليم أى علم من العلوم لا يمكن أن يشمل ويستوعب جميع الحقائق المكتشفة والمقررة فى ذلك العلم، حتى فى الدراسات العالية. فكل تعليم يضطر - بطبيعة الحال - الى انتخاب بعض الحقائق والاهتمام بها أكثر من غيرها. فنستطيع ان نقول لذلك: ان التعليم يتضمن شيئا من الانتخاب؛ فجودة التعليم تتوقف على حسن الانتخاب؛ ولا جدال فى أن حسن الانتخاب لا يتيسر الا بموازنة الفوائد التى يمكن الحصول عليها من تعليم كل بحث من الابحاث، من جميع الوجوه العلمية والتربوية. ولاشك فى أن هذه «الموازنة» توسع مجال عمل «الغايات فى التعليم» توسيعا كبيرا.

وأما نوع التربية الذى يستهدف والتأثير الذى يتوخى من تعليم كل علم من العلوم، فيختلف باختلاف العلوم من جهة، وباختلاف درجات التعليم من جهة أخرى. فالفوائد العملية والاهداف التربوية التى تستهدف فى تعليم الرياضيات مثلا تختلف عما يتوخى من تعليم الطبيعيات والاجتماعيات. كما أن الغايات التى تقصد فى تعليم هذه العلوم فى المدارس الابتدائية، تختلف عما يقصد منها فى تعليمها فى المدارس الثانوية والعالية.

ونستطيع أن نقول بوجه عام: ان دور الغايات التربوية فى التعليم يتضاءل كلما ارتفعت درجة التعليم؛ ومع هذا فأن التعليم العالى نفسه لا يتجرد عن الغايات التربوية تماما، فان هذا التعليم أيضا لا يكتفى بسرد الحقائق وحدها، بل يستهدف فى الوقت نفسه تعويد الطلاب على «التعلم من تلقاء أنفسهم»، بمراجعة المصادر وجمع الوثائق وملاحظة الوقائع واستقراء الحوادث... حسب ما تقتضيه طرائق البحث العلمى والدرس الذاتى..

وأما التعليم العالى الذى لا يقوم بهذه المهمة خير قيام، فانه يكون مقصرا فى واجباته الاساسية، مهما توسع فى سرد الحقائق وتوغل فى شرح الابحاث:.

فلا نغالى اذا قلنا: ان التعليم لا يصبح مقصودا بالذات، الا فى الدراسات العالية الاختصاصية وحدها.

— ٢ —

ان ما قررناه آنفا فى شان «العلم والتعليم» ينطبق على أمر «التاريخ وتعليم التاريخ» بطبيعة الحال.

ففى شأن التاريخ أيضاً نستطيع أن نقول: إن الابحاث العلمية التى تتوخى معرفة الحقائق التاريخية شىء، والشؤون التعليمية التى تتوخى نشر تلك الحقائق شىء آخر. ومهما بالغنا فى القول بأن «التاريخ» يجب أن يكون الغرض منه معرفة الحقائق معرفة مجردة عن كل غاية، لا نستطيع أن نقول ذلك فى «تعليم التاريخ» بحال. بل لا بد لنا من التسليم بان هذا التعليم يجب أن يوجه نحو غايات تربوية واضحة.. على أى حال.

ويجب أن نلاحظ زيادة على ذلك، أن الغايات التربوية التى يرمى إليها من «تعليم التاريخ» كبيرة وخطيرة جدا، لأن المعلومات التاريخية تمتاز عن سائر المعلومات بالتأثيرات العميقة التى تحدثها فى الشعور القومى والحس الوطنى، وبالأدوار العامة التى تلعبها فى تكوين القومية الوطنية.

فان شعور الأفراد نحو أمتهم ووطنهم لا يتأثر بمعرفتهم أو عدم معرفتهم للحقائق الطبيعية مثلا؛ غير أن شعورهم هذا يتأثر تأثراً شديدا من علمهم أو عدم علمهم بالوقائع التاريخية التى تعاقبت على الوطن والأمة فى سالف الأزمان.

ويمكننا أن نقول: ان الشعور القومى يستند على «الذكريات التاريخية» أكثر من كل شىء آخر. ونستطيع أن نؤكد أن «الافكار والمعلومات المتعلقة بالتاريخ» تلعب دورا هاما فى حياة الأمم، وتؤثر تأثيراً كبيرا فى سير حوادثها.

ولهذا السبب نجد أن الأمم المتمدينة بأجمعها تهتم بالتاريخ اهتماماً عظيما. فهى لا تكتفى بالتذكير بالماضى بواسطة الدروس والمؤلفات بل تبذل أنواع الجهود لاقامة التماثيل والانصاب، بقصد «تجسيد وتخليد الذكريات»؛ كما تنتهز جميع الفرص لاقامة الاحتفالات، لاحياء ذكر بعض الوقائع التاريخية، بقصد استثارة انتباه الشعب وإيقاد نار الذكريات القومية فى قلوب الناس.

كما نشاهد أن الدول المستعمرة، عند ما تستولى على أمة من الامم، تحاول أن تدعم استيلاءها العسكرى باستيلاء معنوى، وتعتبر السيطرة على «المعلومات التاريخية» من أهم وسائل هذا الاستيلاء. ولذلك، حالما تنتهى من الاعمال التى تمحو بها الحكومة المحلية وقواها المختلفة، تأخذ فى تصويب سهامها نحو

« التاريخ القومي » ، وتبذل كل ما لديها من الوسائل لاخفات صوت ذلك التاريخ ، وتستعمل كل ما لديها من الحيل لابعاد ذاكرة الأمة عن تاريخها الخاص .

كما نجد أن الشعور القومي عند الأمم المحكومة يأخذ في الخمود والتضاؤل عند ما يسحب النسيان ذيله على « التاريخ القومي » ولا سيما عند ما تنصرف الأمة عن تاريخها الخاص إلى « التاريخ » الذي تلفقه وتعرضه عليها السلطة الحاكمة . . حسبما تقتضيه سياسة السيطرة والاستعمار .

وأما عودة الشعور القومي إلى مثل هذه الأمم المحكومة فلا تتم إلا بعودة الذكريات التاريخية ؛ ولا نغالي إذا قلنا : إن حركات الاستيقاظ والانبعاث ومجاهدات الاستقلال والاتحاد . . لا تبدأ إلا بتذكير الماضي واستلهام التاريخ ، هذه حقيقة ناصعة تتجلى من بين صفحات التاريخ بوضوح تام .

فان « حب الاستقلال » يتغذى بذكريات الاستقلال المفقود ؛ والتوقان الى السؤدد والمجد يبدأ بالتحسر على السيادة الماضية والمجد السالف ؛ والايمان بمستقبل الأمة يستمد قوة من الاعتقاد بماضيها الباهر ، والنزوع الى الاتحاد يزداد شدة وحماسة بتجدد ذكريات الوحدة المضاعة . . . هذه كلها حقائق ثابتة ، تشهد بها جميع التواريخ ، من تاريخ استقلال اليونان الى تاريخ اتحاد الألمان ، ومن تاريخ ثورة الصرب الى تاريخ وثبة الأتراك . .

ولذلك كله نجد ان جميع علماء التربية يتفقون في القول بان دروس التاريخ من أهم وسائط التربية الوطنية والقومية .

فهل يجوز - وهذه هي الحال - للمعلمين والمؤلفين أن يتعاموا عن ملاحظة تأثير المعلومات التاريخية في هذا المضمار ، وألا يستفيدوا من تأثيرها هذا في تقوية الروح القومي وتوجيه الشعور الوطني نحو الأهداف التي يتطلبها مجد الأمة ونهوضها ؟

— ٣ —

يظن البعض أن استخدام دروس التاريخ كواسطة للتربية الوطنية والقومية وتكييف كتب التاريخ لمقتضيات هذه التربية ، هما من الخطط والنزعات الخاصة بالأمم التي تدار بالديكتاتوريات الوطنية ؛ والواقع أنه لا فرق بين هذه الأمم وغيرها في ذلك . ونحن لا نعلم بوجود أمة بين الأمم الراقية تجردت عن هذه النزعة فاهملت الاستفادة من دروس التاريخ في هذا المضمار .

وإذا تجلت آثار هذه النزعة الآن عند فريق من الأمم بوضوح أكبر فما ذلك إلا لأن هؤلاء غيروا نظام حكمهم حديثاً فاضطروا لذلك إلى القيام بتكييف تاريخهم لمقتضيات هذا النظام الجديد بصورة فجائية وعلى رؤوس الأشهاد ، في حين أن غيرهم أقدموا على مثل هذا العمل قبلهم ، فأوجدوا لأنفسهم تاريخاً مكيفاً بمقتضيات الوطنية ، منذ مدة غير يسيرة من الزمن . . . فيمكننا أن نقول : إن الفرق بين الفريق الأول والفريق الثاني ينحصر في تاريخ عملهم بهذه النزعة ، لا في انقيادهم اليها أو انصرافهم عنها .

ومن الغريب أننا نجد بين مفكري الفريق الثاني من الأمم من ينتقد بشدة الخطط التي يتبعها الفريق الأول في هذا الباب . غير أننا نشبه انتقادهم هذا بعمل بعض الأمم المستعمرة التي تستهجن فكرة الاستعمار عند ما تشاهد آثارها عند غيرها ، مع أنها كانت ولا تزال من آباء الاستعمار وأبطاله ، ومع أنها تنعم بخيرات مستعمرات كثيرة ولا تتوانى في التوسل بجميع وسائل العنف والشدة لإدامة سيطرتها عليها .

فيجب علينا ألا ننخدع بمثل هذه الدعايات والانتقادات السياسية وأن نعلم علم اليقين أن تكييف دروس التاريخ بمقتضيات القومية والوطنية من الخطط التي تعمل بها جميع الأمم من غير استثناء ، ومن الخطط التي تتحتم على جميع الأمم المستضعفة بوجه خاص . . .

هذا ويجب أن نلاحظ في الوقت نفسه أن « التكييف » الذي نشير اليه لا يستلزم « الاختلاق » . لان « الانتخاب والإبراز » وحدهما يكفلان « التكييف » ويكفيان « للتوجيه » بوجه عام

وذلك لأن الوقائع التاريخية تؤلف سلسلة طويلة لا مجال لتحديدها ، بل شبكة معقدة لا حد لتعقيدها ، فعدم ذكر الوقائع بأجمعها - قصداً أو اضطراراً - واختيار بعضها أو تفصيله أو اختصاره - كل ذلك مما يغير منظر الوقائع وتأثيرها النفسي تغييراً كبيراً ، كما تتغير الألوان حسب مشيئة المصورين ، تبعاً لتغيير أنواع الأصباغ التي تمزج بعضها ببعض من جهة ، ولتغير نسب هذا المزج من جهة أخرى .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن عملية الاختيار والإبراز ، إذا كانت من الامور المهمة في جميع فروع التعليم ، فهي في منتهى الاهمية في تعليم التاريخ .

لنذكر مثالا بسيطا لتوضيح تأثير عملية الانتخاب والإبراز في مثل هذه الامور لنفرض أننا نود أن نبحث عن علاقة فرنسا

بوحدة إيطاليا : فاذا استعرضنا الحوادث التى تعاقبت فى إيطاليا منذ حروب نابليون إلى حرب السبعين ، ولاحظنا علاقة هذه الحوادث بسياسة فرنسا وأعمالها ، وجدنا أن هذه السياسة كانت مساعدة لوحدة إيطاليا فى بعض الاحوال والادوار . ومعرقلة لها فى أحوال وأدوار أخرى ، فاذا ذكرنا النوع الاول من الوقائع دون أن نبحث عن النوع الثانى منها ، أو إذا سردنا النوع الثانى من الوقائع دون أن نتطرق إلى النوع الاول منها . سنوصل قراءنا وطلابنا إلى أحكام متخالفة ومتعاكسة فى هذا الباب . وهذا الاختلاف سيظهر حتى عند عدم إهمال ذكر نوع من نوعى هذه الوقائع اهمالا تاما ، بل نتوسع فى شرح أحد النوعين ونكتفى باشارة مختصرة فى النوع الآخر .

وهذا ما يحدث فعلا فى تدوين وتدريس هذه الوقائع التاريخية فى مدارس كل واحدة من هاتين الدولتين . فان الفرنسيين يوجهون الأنظار إلى الوقائع التى كانت من نوع المساعدة للوحدة الايطالية ، ويبرزون هذه الوقائع أكثر من غيرها . فى حين أن الايطاليين — بعكس ذلك — يوجهون الأنظار إلى الوقائع التى كانت من النوع الثانى ، ويتوسعون فيها أكثر من غيرها ولهذا السبب تجد أن رأى الايطاليين فى هذه القضية يختلف عن رأى الفرنسيين اختلافا بينا فى معظم الأحوال

وقد لاحظ الكثيرون من رجال الفكر والسياسة ، التأثير الشديد الذى يتأتى من دروس التاريخ فى إدامة الضغائن وإثارة الحروب بين الأمم ، فاخذوا يفكرون فيما يجب عمله فى هذا الباب ؛ وهذا ما حمل عصبة الأمم على الاهتمام بالأمر اهتماماً خاصاً ، وتكوين فرع مختص بشئون تعليم التاريخ بين جوانب معهد التعاون الفكرى الأممى . كما حمل عدداً كبيراً من المربين والمؤرخين على عقد مؤتمرات أممية عديدة للمداولة فى القضايا المتعلقة بدروس التاريخ . . .

وإذا تتبعنا مناهج هذه المؤتمرات ونشراتها ، ولاحظنا أعمالها ومقرراتها ، نجد أنها لم تعارض قط فى « استخدام التاريخ كواسطة للتربية الوطنية » وكل ما طلبته من المعلمين والمؤلفين فى هذا الباب ، انحصر فى التماس السعى إلى تخليص دروس التاريخ وكتب التاريخ من الأبحاث والاتجاهات التى تثير الضغائن وتحول دون التفاهم والتقارب بين الامم

إنها دعت المعلمين والمؤلفين إلى توجيه جهودهم وأعمالهم إلى هذا الاتجاه على الدوام ، دون أن تطلب إليهم أن يجردوا دروسهم وكتبهم من النزعات القومية والوطنية . أو يتركوا الاستفادة من التاريخ فى التربية القومية والوطنية

وعلى كل حال نحن نستطيع أن نؤكد أن « تعليم التاريخ » يستهدف التربية الوطنية والقومية قبل كل شىء ، عند جميع الأمم بدون استثناء

— ٤ —

بعد هذه التفصيلات يجدر بنا أن نعود إلى أنفسنا ونتساءل عما يترتب علينا عمله فى دروس التاريخ ، نحن الناطقين بالضاد .

نحن نعتقد بأن حاجتنا إلى الاستفادة من التاريخ فى التربية الوطنية والقومية ، تفوق حاجة جميع الأمم على الاطلاق . لأن حالة العالم العربى الآن تزيد فى احتياجه إلى الاستفادة من دروس التاريخ وكتب التاريخ فى هذا المضمار زيادة هائلة .

هذا ويجب ألا ننسى من جهة أخرى أن موضوع تأليف وتدريس التاريخ — فى العالم العربى — ظل بعيداً عن مقتضيات البحث العلمى والتربية الوطنية فى وقت واحد

وذلك لأن المؤلفات التاريخية العربية تستند إلى نوعين من المصادر : غربية وشرقية ؛ والمصادر الغربية لم تتخلص تماماً من تأثير « النظرات الأوربية » التى نشأت على معاداة الشرق واستضعاف العرب حتى الآن . . . وأما المصادر الشرقية فقد ظلت بعيدة عن التطورات العلمية والنزعات التربوية فى وقت واحد . . .

فيجب علينا فى مرحلة النهضة التى وصلنا إليها أن نعيد النظر فى أبحاث التاريخ بروح علمى وشعور قومى ؛ وأن نوجد لأنفسنا — على هذا الاساس — مؤلفات تاريخية تجمع بين مقتضيات البحث العلمى ومطالب التربية الوطنية فى وقت واحد . .

« بغداد » أبو خلدون

فى الحب وتهيؤ النفس له

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أشرت فى فصل إلى الوقت الذى تكون فيه النفس أحسن تهيؤا للحب وقلت إنه وقت الفتور الخفيف ، لا النشاط ولا التعب الشديد . وقد رأيت أن كثيرين استغربوا هذا ؛ فيحسن أن أبين ما أعنى وأن أجلوه إذا استطعت . وخير وسيلة لذلك أن نضيق دائرة الاحتمالات وأن نسأل أنفسنا فى أية ساعة يا ترى من ساعات الليل أو النهار يكون المرء أقوى استعداد نفس للحب ؟ . أيكون ذلك فى الصباح حين ينهض المرء من النوم مستريحا مجدد النفس موفور النشاط ؟ أى على الريق ؟ . لا أظن ! وأحسب أنه لو خطرت أمام المرء فى هذه اللحظة أبرع الفتيات جمالا ، وأرشقهن قداً ، وأسحرهن لحظاً ، وأحلاهن ابتسامة ، لما كان لجمالها من الوقع إلا أيسره . نعم يطرف المرء ويفرك عينيه ليستوثق من أنه ليس فى حلم ولا يسعه بعد أن يوقن أن عينيه لم تخدعه إلا أن يعجب بالقد الرشيق والرونق البارع . وقد ينطق فيقول « ما شاء الله . سبحان ربى الخالق » ، ولكن الأمر يقف عند حد الاعجاب . أوقل إن السهم لا يستطيع أن ينفذ من اللحاف. وليس أحلى من أن يستطيع المرء أن يستأنف النوم بعد أن يستيقظ فى البكور ، فان للنوم فى هذه اللحظة إغراء لا أعرفه يكون له فى ساعة أخرى ؛ والرجل الذى يسعه أن يقاوم إغراء النوم فى البكرة المطلولة لا أظن شيئا آخر يعجزه . والجسم فى هذه الساعة يكون مستريحا إلى تفتير الراحة فيكون المرء مستيقظا ولكن ينقصه النشاط الكافى والتنبه التام ومن هنا لا يحدث الحسن أثره لأنه لا يلاقى وعيا كاملا .

أم ترى يكون الحب أسرع الى النفس وأنفذ إلى القلب حين يخرج المرء فى الصباح ؟ لا أظن أيضاً ! فان القوى تكون مجددة والنفس متعشة . ومعنى هذا أن نشاط الانسان جم وأن قدرته على المقاومة تامة ؛ ففى وسع الانسان أن يعجب فى هذه الساعة ما شاء من غير أن يقع فى الشرك أو يصاب فى مقتل . والحب مرض

ومن الحقائق التى لا مكابرة فيها أنه كلما كان الجسم أصح كانت مقاومته للمرض أوفى وأكبر ؟ وما من ساعة يكون فيها الجسم أوفر نشاطا ، وأعظم استجماما ، كساعة الصباح ، بعد راحة النوم العميق الكافى ومن كان يعرف أن أحدا أصيب بالحب فى الفجر أو الصبح فليتفضل على بنبأ ذلك فان العلم به ينقصنى ؛ وقد قرأت كل ما وسعنى أن أقرأ من شعراء العرب والانجليز وغيرهم واطلعت على ما وقع لى من التراجم والأخبار ومن قصص العشاق الصحيحة والكاذبة المختلفة فلم أر أن أحداً أحب على الريق ، فاذا كان هناك من اهتدى إلى غير ذلك فانه يكون أحسن توفيقا وأنا مستعد لتصديقه وتصحيح رأيى

ولا أكاد أتصور أن يحب المرء وهو جائع ولا بعد أن تكتظ معدته بالطعام ؛ فاما قبل أن يأكل فلأن إلحاح المعدة يشغله ويستغرق عنايته ولا يترك له بالا الى أمر آخر . وأما بعد الأكل فان الامتلاء يصرف جهد الجسم إلى المعدة ؛ أو اذا شئت فقل إنه يعدل المزاج فيشعر المرء أن كل شىء فى الدنيا على ما يرام ، وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، فلا تكون له رغبة ولا فيه استعداد لتغيير هذه الحالة وإبدالها بغيرها مما لعله مزعج أو ناف لهذا الشعور السار الذى تسكن اليه النفس . وقد جربت - وأظن أن غيرى جرب أيضاً - أن أسباب الخلاف والنزاع وخصوصا بين الرجل وزوجته تقة جدا ، وكثيرا ما تزول جملة ، بعد الأكل لسببين : الأول أن الجسم يشغل بما حشى به وما صار أولى بجهده ؛ والثانى أن الشعور بلذة الامتلاء - وهو شعور راجع الى الحرص على الحياة - وما يفيده ذلك من الرضى والاغتباط لا يدعان محلا للعود إلى خلاف سخيف خليق أن يفسد هذا الشعور الجميل

وأنا لا عالم ولا فيلسوف ولا شىء على الاطلاق مما يجرى هذا المجرى ، وانما أتكلم بما أعرف وأتحدث عما جربت ؛ والذى عرفته وجربته هو أن المرء فى الصباح يحس حصانة ومناعة - من الأمراض ومن الجمال - وقلما يعنى بأن يتبع النظرة النظرة فى هذا الوقت ؛ ولو أن اليوم كله صباح لكان على

الحب السلام ، ولكن اليوم ليس كله صباحا مع الأسف .
والمثل يقول اذا أردت أن تطاع فمر بما يستطاع . وما من أحد يستطيع أن يكون فى الظهر كما يكون فى الصباح ، ولا فى التاسعة صباحا كما يكون فى التاسعة مساء . فى الصبح يكون قويا قادراً على العمل كفؤا لمقاومة المغريات لأنه مستجم مستريح ، فاذا جاء الظهر يكون قد تعب وشعر بالفتور وبالحاجة الى الراحة والطعام - أو الطعام والراحة - ويكون العمل قد هد منه وسرق من قوته وسلبه بعض ما ادخره للكفاح والنضال . ولكن الحاجة إلى الطعام تكون أقوى ما يحس وألح ما يدرك ، فيصرفه ذلك عن كل ماعداه ولا يبقى له هم إلا أن يجلس إلى مائدة حافلة بما يسكت هذه العصافير المزقزقة ويعفيه من ثقل الشعور بما يتلوى فى جوفه . فاذا رأى جمالا فبعيد جدا أن يحبه مهما بلغ من ظما النفس الى الحب ؛ وقد يشعر بالسرور وينشرح صدره ولكنه لا يتمهل فى عدوه إلى البيت أو إلى حيث يكون الطعام الذى يطلبه ما لا سلطان له عليه ، وأحسب أن كل ما تؤدى اليه رؤية الجمال فى هذه الساعة هو أن السرور يزيد القدرة على التهام الطعام .

ويأكل المرء وينام ويستيقظ ويقوم متثاقلا ، وقد أصاب حظا من الراحة - لا كل ما يحتاج اليه - ويستحم أو يكتفى بغسل رأسه ووجهه ولكن الثقلة لا تزايله ، لأنه لم يستوف نصيبه العادل من الراحة ، ولم يعوض كل ما انفقه فى يومه ، فهو لا يزال متعبا ولكنه تعب خفيف لا يشق على النفس ولا يبهظ الجسم احتماله . وهذا هو الوقت الخطر على ذى القلب الحساس . ويستوى أن يكون الوقت العصر أو نصف الليل فإن المهم أن يكون الجسم متعبا بعض التعب وأن يكون تعبه بحيث لا يثقل عليه ولا يمنعه أن يخرج ويجالس الناس ويشهد السينما ويسهر مع الساهرين ويلتمس المتع التى يلتمسها الناس فى العادة بعد أن يفرغوا من أعمالهم ويتخلوا لانفسهم . والتعب الخفيف هو الخطر . وهذا لا وقت له على وجه التعيين فقد يكون العصر وقته عندى فى يوم والصباح وقته فى يوم آخر . والتعب الخفيف هو فرصة الأمراض والحب لأن المرء لا يفطن اليه ولا يباليه ولا يتحرز من عواقبه ولا يحاول أن يقاوم ما يهجم عليه فى فترته ، فكأن المرء يؤخذ على غرة ، وأهبته للكفاح والمقاومة غير تامة .

ولو عنى الانسان بان يدرس نفسه ويتدبر حالاتها لوجد أنه لا يمكن مثلا أن يفضى بسر له يحرص عليه وهو مستجم مستريح الجسم ، وانما يبث نجواه ويقول بسره وشجوه حين يكون متعبا قليلا - كائنا ما كان سبب التعب ، فقد يكون ذلك من جراء العمل أو يكون بفعل الخمر أو يكون بعد المشى مسافة طويلة أو بعد جلسة يمتد زمنها ، أو على أثر برد خفيف إلى آخر ذلك - وصاحب الجسم المستوفى نصيبه من الراحة لا يخطر له مثلا أن يخوض بحثا فى نظام الكون ، ويروح يجزم بما يدور فى نفسه من الأوهام التى يحسبها حقائق لا تدفع، لان صحة الجسم تساعد على إدراك القصور الانسانى . وإنما يفعل ذلك الذى به تعب خفيف لا يحسه ، ولا يعرف له وطأة . والتعب الخفيف يهيج شهوات الجسم كما يتيح لجراثيم الأمراض فرصة العيث ، فيلقى المرء نفسه غير قادر كما ينبغى على المقاومة ، ويحس أنه أصبح طوع الجواذب ؛ فاذا عرضت عليه كأسا لم يطل تمنعه ، وقد تحدثه نفسه بأن ذلك ربما كان أجلب للنشاط وينسى رد الفعل الذى يعقب هذا النشاط المجلوب . وإذا خايله الجمال تحركت نفسه كما لا يمكن أن تتحرك وهو موفور القوة أو شديد التعب . واذا استطرد الحديث إلى ما وراء الطبيعة جازف بالآراء وقطع وجزم بلا تردد أو تلعثم . وليس ذلك من الثقة بالنفس ولا من طول التدبر والنظر وانما هو من الفتور الحاصل الذى يغرى بالكسل واتقاء عناء البحث الذى يزيد به التعب . والمرء فى هذه الحالة لا يكسل وهو شاعر بكسله ولا يتقى العناء وهو عارف بأنه يتقيه ، وانما يفعل ذلك بغريزته التى تدفعه من حيث يشعر ولا يشعر إلى وقاية نفسه والمحافظة عليها .

ومتى جاوز التعب - أعنى الشعور به - الحد الذى يسهل احتماله ويهون الصبر عليه فقد استحال الحب . فالمتضور جوعا ، والذى يرعد من البرد ، والذى به مغص أو غيره من المزعجات والمنغصات ، والذى يكاد يسقط من فرط الإعياء ، والذى يغالبه النوم ويثنى رأسه النعاس الخ الخ لا يمكن أن يجد الحب سبيلا الى قلبه قبل أن يزول ذلك عنه ، واذا اتفق أنه كان عاشقاً فانه لاشك ينسى حبه وعشقه حتى يشفى

أو يستريح أو يشبع ، ومن كان لا يصدق فليجرب وليختبر نفسه . وفي وسع كل إنسان أن يجعل باله إلى حالات نفسه في الصحة والمرض وفي الجوع والشبع وأن ينظر هل يكون له عقل يفكر في حبيب وهو جائع أو بردان أو متألم أو متهافت من النصب .

والمرأة تدرك هذه الحقائق بغريزتها الذكية ، فهي دليلي على صحة ما أقول . واسألوا أنفسكم متى ترون المرأة تعنى بزينتها وعرض محاسنها على الرجل فلن تجدوها تفعل ذلك في الوقت الذي تحس فيه أن الرجل مستجم مستريح أي قادر على مقاومة فتنتها ، وإنما نراها تفعل ذلك وتلجأ إلى معونة الثياب المنسجمة على الجسم المبرزة للمفاتن ، وإلى المساحيق التي تؤكد الإشراق والنضرة في وقت التعب الخفيف لا في وقت النشاط التام ولا وقت التقوض والانهداد . وأحسب أن من المفهوم أن كلامي هو على المرأة حين تتصدى للرجل بحكم طبيعتها لا عامدة ولا حين تخرج لعملها إذا كانت تعمل أو لقضاء حاجة لها فما تستطيع إلا أن تتزين إلى حد ما تبرز للناس لأن طبيعتها تغريها بأن تحشد قوتها كلها وسلاحها أجمعه على سبيل الاستعداد للمنازلة ، ولو كانت فرصتها بعيدة فان الأمر بين الرجل والمرأة أمر حرب — هي تقاتله وتحاول أن تغلبه بالجمال وهو سلاحها وهو يقاومها ويحاول أن يغلبها بقوته وجلده الخ ، وقد يكون من غريب أمر هذه الحرب أن النصر فيها موزع وأن الذي يبدو فيها ظافراً كثيراً ما يكون هو المهزوم ، وأن الذي يتظاهر بالتسليم وإلقاء السلاح عسى أن يكون هو الغالب المنصور بل الفريقان المقتتلان لا نصر لهما ولا هزيمة ، وإنما النصر للحياة التي تسخرهما لغاياتها وتتخذ منهما أداة . ولكن هذا استطراد فلنعد إلى سؤالنا ، ولنتوسع فيه قليلا . فهل يظن أحد أن من المصادفات البحتة أن المرأة لا تتزين في الأغلب إلا في العصر أو المساء أو الليل ؟ . إن ثياب المرأة للزينة ، قبل أن تكون للمنفعة — وكذلك ثياب الرجل إلى حد كبير — ولكن الزينة مقدمة على المنفعة عند المرأة ، لأن المرأة هي الشرك الذي تنصبه الحياة للرجل والزينة تؤكد الجمال وتبرزه . وهل يستطيع أحد أن يزعم أن هذه الثياب التي تلبسها المرأة لها أدنى نفع في وقاية أو ستر ؟ ولكنها لا تعني بالزينة في الأوقات التي تقول لها غريزتها إنها تكون زيادة لا داعي لها ولا تأثير ، مثل الصباح الباكر أو قبل الظهر حين يكون الناس جياعا ، فاذا مال ميزان النهار الذي هو وقت العمل الطبيعي وأحدث العمل اليومي أثره الذي لابد منه وأنتج السعي للرزق أو غيره ذلك الفتور الخفيف وأنشأ الرغبة في اللهو والتسرية عن النفس والتماس ماينسي الانسان تعب النهار ومشقات العمل ومتاعب الحياة — اذا جاء هذا الوقت رأيت المرأة معنية بزينتها وثيابها ، ومن هنا كانت ثياب السهرة وتوخي المرأة فيها أن تجعلها ثياب جلوة ، تجلو محاسنها كلها وتعرض مفاتنها وتحيلها أوقع في النفس ، ولو كان الأمر الى العقل وحده وإلى الفائدة المطلوبة من الثياب لما كان الليل أحق بهذه الثياب من النهار ، ولكن الغرض ليس الفائدة بل الفتنة ، والفتنة تكون أسهل ومطلبها أيسر بعد تعب النهار وبعد حلول الفتور الخفيف الخفي الذي يساعد على التغلب على الفريسة .

ولنسأل سؤالا آخر : لماذا يحلو الغزل والمناجاة في الليل الساجي وفي ضوء القمر اللين ولا يحلوان تحت الشمس المحرقة وفي الظهر الأحمر ؟ . وأجمل الجواب اتقاء للاطالة فأقول : إن الليل هو وقت الفتور ، وإن سهوم القمر وسكونه يزيدان هذا الفتور ، وإن اجتماع الفتور الطبيعي بالليل بعد الكدح بالنهار واللين المفتر الذي يحسه الانسان من ضوء القمر يجعل مقاومة الإغراء أضعف ، لما يحدثه ذلك من استرخاء الأعصاب وكسلها ؛ وشيء آخر أحسبه حقيقة وإن كنت لا أعرف له علة وذلك أن للقمر أثراً محسوساً في حالة الأعصاب . ومن هنا يعتقد العامة أن طول النظر إلى وجه القمر يحدث الخبل ويورث الجنون ؛ ولا أعرف علة لذلك ولست أدري أن العلم اهتدى إلى تعليل له ، ولكن الذي أعرفه أن للقمر أثراً معترفا به في المد والجزر ، فما دام أن له هذا الأثر فماذا يمنع أن يكون أثره أبلغ وأوسع نطاقا وأمس بحياة الجسم الانساني وحالاته ؟ إن الماء الذي يؤثر فيه القمر ليس شيئا أجنبيا منا وإنما هو بعض ما نحيا به ، بل هو أصل لا مكابرة فيه . ثم إن أثره في المرأة معروف ، حتى أن الدورة عندها تحسب بالشهر القمري . والذي أعرفه أيضا أن الناس من أقدم العصور قرنوا ضوء القمر بالجنون ولا تزال في اللغات المختلفة ألفاظ يفهم منها اقتران معنى الجنون

بضوء القمر . بل إن اللفظ الدال على الجنون فى لغات كثيرة مشتق من اسم القمر . وعسى من يسأل : ولكن ماعلاقة هذا بالحب ؟ ، والجواب أنى لفت النظر إلى أن الغزل والمناجاة يكونان فى الأغلب والأعم فى الليل ويطيبان فى ضوء القمر . وقد قلت إن تجربة الناس من أقدم العصور هدتهم إلى أن للقمر أثراً سيئاً فى عقل الانسان واتزانه ؛ وقد بقى فى لغاتهم أثر هذا الاعتقاد . وقد يكون أو لا يكون هذا صحيحاً ولكنه خلاصة تجارب الخلق ومشاهداتهم فى عصور طويلة لا يعرف لها أول ، وبعيد جداً أن يكون كله وهما . ومهما يكن من ذاك فالمحقق أن ساعات الليل ساعات ضعف بالقياس إلى نشاط النهار بعد راحة النوم الكافى . فالتأثر بالجمال يكون فيها أقوى والمقاومة تكون أضعف

وقد قلت إن الحب شرك تنصبه الطبيعة للإنسان لابقاء الدنيا عامرة بنسله — لا أدرى لماذا — ولكن هذا هو المشاهد على كل حال . فى هذا يحسن أن أقول كلمة وجيزة : سئلت امرأة عجوز عن آرائها فى بعض وجوه الحياة فقالت : إن سخافة الرجال تظهر فى ثلاثة أمور : الأول أنهم يتكلفون عناء شديدا ليتسلقوا الشجر ويقطفوا الثمر ؛ ولو صبروا وأراحوا أنفسهم وجلسوا ينعمون بالظل تحت أفنان الشجرة لألقت إليهم بثمرها فى أوانه . والثانى أنهم يذهبون إلى الحرب ليقتل بعضهم بعضا ؛ ولو انتظروا لجاءهم الموت جميعاً والثالث أنهم يجرون وراء المرأة ؛ ولو كفوا عن ذلك لجرت وراءهم المرأة . فهذه عجوز حكيمة . وأحسب أن حكمة الصبر هذه يرجع الفضل فيها إلى السن العالية وما تجره من العجز . ولكن الواقع على كل حال أن المرأة هى التى تطارد الرجل وليس الرجل هو الذى يطارد المرأة . وقد كنت فى أول عهدى بالأدب أستنكر قول ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروق من نظر
بمنظر فيه جلاء للبصر
أثنت على الله بآلاء المطر
فالأرض فى روض كأفواف الحبر
نيرة النوار زهراء الزهر
تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الأنثى تصدت للذكر

والشطر الأخير هو المقصود . وكنت أستثقل قوله إن المرأة تتبرج لتتصدى للرجل ولكن المرء يزداد فهمه للحياة على الأيام . وإنه ليضحكنى الآن أن الرجل يتوهم أنه هو الصائد الجرىء المقدام الذى يوقع منظره الخشن الرعب فى قلب المرأة المسكينة الضعيفة ! وإنما يضحكنى أن هذا الوهم وما يفضى اليه من الغرور هما اللذان يوقعانه فى شرك المرأة . فهو ينسى لغروره أنه لا يفكر فى الحب إلا بعد أن تلقحه المرأة بجرثومته ، أى بعد أن يصاب به ، على حين كانت المرأة تعد عدتها لهذا اليوم وتتدرب على إجادة هذا الفن وتدرس كل أساليب الأغراء مذ كانت طفلة فى المهد . وهذه مبالغة ولكنى أريد أن أقول إن الطبيعة جعلتها أداة لإغراء الرجل وأعدتها بفطرتها لاجتذابه واستدراجه وإيقاعه فى الفخ ، وهى فى هذا لا تحتاج إلى معلم ، وحسبها غريزتها هادياً ومرشداً . وهى تتقن فن الاستدراج اتقاناً عظيما وتعرف فى أية لحظة ينبغى أن تزيد المسافة بينها وبين الرجل الذى تدعه يتوهم أنه هو الذى يبدأ بمطاردتها ، وتعرف متى تتباطأ وتقصر الخطو ، لتزيد أمله فى إدراكها ، فيقوى عزمه ويشتد عدوه وراءها والمرأة أعرف بالمرأة ، أو هى أولى بذلك من الرجل وأخلق بأن تكون أقدر عليه ، وقد وجدت فى كتاب لكاتبة اسمها « الينورجلين » - واسم الكتاب « العاطفة التى تدعى الحب » هذه النصيحة التى يجدر بكل رجل أن يتدبرها قالت :

« قاعدة عامة - أول ما ينبغى أن تتذكريه هو الا تظهرى رغبة شديدة أو إقبالا عظيما أو لهفة ، فان الغرض هو الاستيلاء على الرجل . والرجل مهما بلغ من وداعته وضعفه يجب أن يتوهم أنه هو الذى يقوم بالمطاردة . ولا بد للفتاة التى تخرج للقنص والصيد من أن تدرس أساليب الصيد ووسائله وأن تستعين على التوفيق بمعرفة طباع القنيصة . وما من رجل يعتقد أن فى وسعه أن يصيد غزالا بأن يجرى وراءه ويصيح به . والأساليب التى يستخدمها لصيد الفهود والنمور غير التى يلجأ اليها حين تكون غايته الأرانب ، ومتى استطعت أن تثيرى اهتمامه بك فليس عليك بعد ذلك إلا أن تغذى نفسه ببواعث الرغبة فاذا هو بين يديك ، واعلمى أن الرجل يجد لذة فى

المطاردة ، ولكن حماسته تفتر متى ألفى الطريدة في حقيبته . وإذا وجد أن الصيد سهل جداً فقلما يعنى بأن يمد يده ليتناوله وقد يدعه على الأرض حيث وقع. أما إذا كان الطراد شاقاً عنيفاً مثيراً وكانت الطريدة شديدة الحذر طويلة الصبر على جهد الطراد فان الرجل خليق بأن يزهى بالفوز بها وأن يروح يعرض الصيد على العيون مفاخراً مباهياً » اهـ.

ولا شك أن الواجب الذي وكلته الطبيعة إلى المرأة شاق ، فليس من السهل أن تلعب دور الهارب وهي في الوقت نفسه مصممة على الوقوع في يد المطارد . فقد تطول المسافة بينها وبينه جداً فييأس وينكفىء راجعاً ويعدل عن المطاردة . فاذا تركته يدنو منها جداً ويدركها بسرعة وسهولة وبلا جهد يستحق الذكر فقد ينفض يده من الأمر لأنه يراه أسهل عليه من أن يحس أنه يفيد منه متعة ويروح يلتمس صيداً غيره يستحق العناء . فالأمر يتطلب حذقاً في التقدير وبراعة وسرعة في التقرير من جانب المرأة . ومن هنا يحدث كثير من المضحكات التي يعجب لها الرجل ولا يرى له قدرة على فهمها . وكثيراً ما يفوته الجانب المضحك لأنه يشغل بالفهم على طريقه هو ، فيصرفه ذلك عن الفكاهة . من ذلك مثلا أن واحدة اشترطت لقبول الزواج أن يكون للرجل الف جنيه مدخرة لأن القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ، فراح المسكين يقتصد ويدخر - أو يحاول ذلك على الأصح - وطال الأمر وتعاقبت الشهور وهو يجد ولا يتكلم ولا يظهر أيضاً وكيف يظهر لها قبل أن يجمع المبلغ المطلوب . فلقيته اتفاقاً وسألته عما صنع ، فقال : « لم استطع أن أقتصد إلى اليوم أكثر من جنيهين » ، فابتسمت له بعد أن أطالت النظر اليه وقالت « أظن أن هذا قريب جداً من الغاية » .

وكما أن الرجل يجد لذة في المطاردة ، كذلك المرأة تجد لذة في أن تطارَد حتى ولو كانت نيتها معقودة على النجاة لا على الوقوع ؛ وهذا معقول ، لأنه يسر المرأة أن تعرف أنها جميلة وأن الرجل يريدها وإن كانت هي لا تريده . وأحسب أن المتعة المستفادة من الطراد هي كل ما في الحب من لذاذة ؛ ومتى انتهى الأمر ووقعت الفريسة ، فتر النشاط والحماسة ، وسكنت النفس وهدأت الأعصاب . ومن هنا يخطىء الذين يتوهمون أن للحب عمراً أكثر من عمر المطاردة ، ومن هنا أيضاً يخيب أمل الذين يتزوجون وهم يحسبون أن الحب يدوم . وما أكثر من يسألون عن الوفاء والحفاظ، ما فعل الله بهما . ولو فكروا لما انتظروا وفاء ولا حفاظاً ولا خاب لهم أمل ولا ندبوا حظوظهم في الدنيا ، فان الحب — ككل شيء في هذه الحياة — لا عمر له ولا بقاء ؛ وهو يبقى ما بقيت لذته ؛ ولذته تنتهي بانتهاء المطاردة . كل شيء في هذه الدنيا إلى حين ، فلماذا يكون الحب وحده هو الباقي الدائم ؟

والمرأة تدرك هذه الحقيقة بغريزتها أيضاً ؛ ولذلك نراها تحاول أن تستبقي روح المطاردة بعد انتهائها بما نسميه الدلال وهو فن يراد به أن يشعر الرجل أن به حاجة إلى السعي والجهد فيؤدي ذلك إلى شحذ الرغبة ونفي الفتور وتجدد الطلب ، فالحق أن الطبيعة حكيمة وإن كانت حكمتها لا تبدو لنا في أكثر الأحيان

ابراهيم عبد القادر المازني

بمناسبة تتويج جلالة الفاروق

رسوم البيعة والتتويج

فى عهد الدولة الفاطمية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يبلغ صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر رشده الدستورى فى الثامن والعشرين من شهر يولية القادم . وقد أثيرت بهذه المناسبة مسألة الرسوم والاجراءات التى يحسن اتباعها لاعلان هذا الحادث السعيد ، وافتتاح العهد الجديد بما يليق به من الروعة الملوكية والدستورية .

ومن المقرر أن الدول الملوكية العريقة تتبع فى مثل هذه المناسبة رسومها وتقاليدها الملوكية الخاصة ؛ وقد رأينا كيف أحيطت حفلات التتويج البريطانى بكثير من الرسوم الملوكية القديمة التى يرجع بعضها إلى عدة قرون ؛ ولكن يلاحظ هنا أن الملوكية الانكليزية لبثت منذ قيامها حتى يومنا متصلة الحلقات، يحتفظ العرش بمعظم رسومها وتقاليدها عصراً بعد عصر . أما الملوكية المصرية فقد انقطع سيرها وعفت رسومها منذ الفتح العثمانى زهاء أربعة قرون حتى أعلن المغفور له الملك فؤاد الأول ملكاً على مصر فى سنة ١٩٢٢

ومع ذلك فان للملوكية المصرية الاسلامية رسوما وتقاليد عريقة انتهت إلينا منها صور وذكريات باهرة . وقد عرفت مصر الاسلامية هذه الرسوم الملوكية الخاصة منذ استحالت من ولاية خلافية إلى وحدة سياسية مستقلة فى ظل الدولتين الطولونية والاخشيدية اللتين كانتا بالرغم من ولائهما الإسمى للخلافة العباسية تتمتعان ببعض الرسوم والتقاليد الملوكية الخاصة ، مثل صدور البيعة للأمير ، وتحليه بألقاب الامارة وأحيانا بالألقاب الملوكية مثل اتخاذ محمد بن طغج لقب الأخشيد (أى أمير الأمراء) ، أو تمتعه ببعض الامتيازات الملوكية السياسية ، كما فعل الاخشيد حينما اتصل بقيصر قسطنطينية مباشرة فى المكاتبات الدبلوماسية المتعلقة بمصر وغير ذلك ؛ وثانيا حينما غدت مصر خلافة أو دولة مستقلة كاملة السيادة فى ظل الدول الاسلامية المتعاقبة

وقد عرفت الملوكية المصرية رسومها وتقاليدها الراسخة فى ظل الدولة الفاطمية : وكانت هذه الدولة القوية تجنح إلى البهاء والفخامة فى جميع رسومها وتقاليدها . وكانت تولية الخليفة الفاطمى تحاط بطائفة من الرسوم والمواكب الباذخة ؛ ولما قدم المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ ، بعد أن افتتحها قائده جوهر الصقلى قبل ذلك بأربعة أعوام (سنة ٣٥٨ هـ) لم ترتب إجراءات خاصة لاعلانه خليفة أو ملكا على مصر ، لأن المصريين ارتضوه على يد زعمائهم وأعيانهم خليفة وملكا عليهم عند الفتح حينما قدموا خضوعهم لنائبه وممثله جوهر ، وقطع جوهر الدعوة العباسية ، وبدأت الدعوة للخليفة الفاطمى ؛ بيد أنه حينما وصل المعز إلى الاسكندرية فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، استقبله أعيان مصر وعلى رأسهم قاضيها الأكبر وجددوا له مراسيم الخضوع والبيعة ، وقصد المعز بعد ذلك إلى القاهرة ونزل بالقصر ، وبدأ عهده فى الحكم والولاية فى اليوم الخامس عشر من رمضان ، إذ جلس بالقصر على عرشه الذهبى الذى أعده له جوهر فى الأيوان الجديد ، وأذن بدخول الأشراف ثم الأولياء وسائر وجوه الناس ، وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدمهم إليه فوجا بعد فوج فيأخذون له البيعة والعهد ، وعلى هذا النحو نظمت مراسيم التتويج لأول خليفة فاطمى بمصر

ومنذ عهد العزيز بالله ولد المعز لدين الله تتخذ رسوم التتويج الفاطمية صورها الباذخة ، وكانت هذه الرسوم تجرى أولا فى القصر الفاطمى فى الأيوان الكبير ثم بعد ذلك فى قاعة الذهب التى أنشأها العزيز بالله ، وجددها المستنصر بالله فيما بعد ، وكان بها عرش الخلافة ، وبها يجلس الخليفة أيام المواسم العامة ، ويجلس للركوب يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وبها كان يقام سماط العيدين ، وسماط رمضان للأمراء ، وكانت تعرف أحيانا بقصر الذهب . وكانت مبايعة

الخليفة الجديد تجرى فى حفل عام يرتبه مدبر الدولة أو كبير الوزراء أيا كان لقبه، وصاحب الباب أو حاجب الحجاب وهو أكبر رجال القصر، والاسفهسلار أو القائد العام للجيش، وذلك بالاتفاق مع قاضى القضاة، وهو فى العرف السياسى أعظم رجال الدولة مقاما ونفوذا

وكان ينادى بالخليفة الجديد عقب وفاة سلفه مباشرة؛ ولا فرق فى ذلك أن يكون الخليفة الجديد صبياً أو بالغ الرشد؛ ويقع هذا الاجراء الأول بالقصر أو حيث كانت وفاة الخليفة الذاهب، ويتولاه أعظم رجال القصر نفوذاً أو قاضى القضاة ثم يعقبه اجراء البيعة العامة بالأيوان الكبير وهو أيضا من منشآت العزيز بالله، وجرت فيه بيعة الحاكم بأمر الله فابنه الظاهر لاعزاز دين الله، فابنه المستنصر بالله، فابنه المستعلى بالله، فابنه الآمر بأحكام الله . ثم نقل الخليفة الآمر بأحكام الله سرير الملك (العرش الخلافى) من الأيوان الكبير إلى قاعة الذهب، فحلت مكان الأيوان من ذلك الحين فى إجراء الرسوم الخلافية العظيمة؛ وكان الاحتفال بالبيعة عاما يشهده رجال الدولة وأكابر الجند والأعيان وأفراد الشعب، ويبدأ باخذ البيعة للخليفة الجديد قاضى القضاة وأعضاء الأسرة الفاطمية وأكابر رجال الدولة والقصر، ويسلمون عليه بسلام الخلافة وصيغته «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته»، ثم يقبلون له الأرض؛ واذا وافق جلوسه يوم عيد، خرج الخليفة فى موكبه إلى الصلاة، كما حدث عند تولية الظاهر لاعزاز دين الله حيث وافق جلوسه يوم النحر (عيد الأضحى) فأخذت له البيعة، ثم خرج إلى صلاة العيد، وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر، وصلى بالناس، ثم عاد إلى القصر، فكتب بخلافته إلى سائر الأنحاء.

وكان للعرش الفاطمى عدة من الذخائر والآلات الملوكية كانت آية فى الفخامة والبهاء والبذخ، من ذلك سرير الملك، أو العرش الذى يجلس عليه الخليفة يوم توليه الملك، ثم بعد ذلك أيام المواكب والاستقبالات الرسمية. ويقول مؤرخ معاصر فى وصفه: «إن وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال، ووزن ما حلى به الستر الذى أنشأه سيد الوزراء أبو محمد اليازورى من الذهب أيضاً ثلاثون ألف مثقال، وأنه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه. وذكر أن فى الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهباً، وعشرين ألف درهم مخرقة، وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه، وأن فى الشمسية التى لم تتم من الذهب سبعة عشر ألف مثقال»، وإلى جانب العرش يوجد تاج الخليفة أو التاج الشريف، وهو تاج يضعه الخليفة على رأسه فى الموكب والأيام العظام، وبه جوهرة عظيمة تعرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم، وحولها جواهر أخرى دونها؛ وقضيب الملك، وهو عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب مرصع بالدر والجواهر يحمله الخليفة بيده فى المواكب العظام؛ والسيف الخاص، يحمل مع الخليفة فى المواكب العظام أيضا؛ وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة؛ ومنها المظلة التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه، وهى قبة فاخرة ملبسة فى أنابيب الذهب، وحاملها من أعظم الأمراء؛ والرمح والدواة، والدرقة، والحافر، وهى قطعة من ياقوت أحمر فى شكل الهلال تحمل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب العظيمة؛ ومنها الأعلام والبنود والسلاح الخاص الذى يحمله الركابية أو الحرس الملكى.

وقد انتهى الينا وصف بعض المناظر الواقعية التى أحاطت بتولية أحد الخلفاء الفاطميين، وهو الحاكم بأمر الله ولد العزيز بالله، نقلها الينا مؤرخ معاصر هو عز الملك المسبحى وزير الحاكم وصديقه ونحن نعرف أن الحاكم بأمر الله تولى الملك حدثاً عقب وفاة والده العزيز فى مدينة بلبيس فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦هـ. يقول المسبحى: «قال لى الحاكم، وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار، استدعانى والدى قبل موته، وعليه الخرق والضماد، فاستدنانى اليه وقبلنى وضمنى اليه وقال: وأغمى عليك يا حبيب قلبى ودمعت عيناه. ثم قال امض ياسيدى والعب، فأنا فى عافية

قال ، فمضيت ، والتهيت بما يلتهى به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه ، قال فبادر إلى برجوان ، وأنا فى أعلى جميزة كانت فى الدار ، فقال : انزل ، ويحكم الله فينا وفيك ، قال فنزلت ، فوضع العمامة بالجوهر على رأسى وقبل لى الأرض ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال ، وأخرجنى حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة ، فقبل جميعهم لى الأرض وسلموا على بالخلافة ، وقع هذا المنظر بمدينة بلبيس فى ٢٨ رمضان ، وفى اليوم التالى سار الحاكم إلى عاصمة ملكه فى موكب رهيب فخم وأمامه جثة أبيه ، وبين يديه البنود والرايات ؛ وقد ارتدى دراعة مصمت ، وعمامة يكللها الجوهر ، وتقلد السيف وبيده رمح فدخل القاهرة عند مغيب الشمس ؛ وفى الحال أخذ فى تجهيز أبيه ، ودفن عشاء بالقصر . وفى صباح اليوم التالى ، بكر سائر رجال الدولة إلى القصر ، وقد نصب للخليفة الصبى فى الايوان الكبير ، سرير من الذهب عليه مرتبة مذهبة ، وخرج من القصر إلى الايوان راكباً وعلى رأسه معممة الجوهر والناس وقوف فى صحن الايوان ، فقبلوا الأرض ومشوا بين يديه حتى جلس على عرشه ، وسلم عليه الجميع بالامامة ونودى فى القاهرة والبلدان أن الأمن موطد والنظام مستتب فلا مؤنة ولا كلفة ، ولا خوف على النفس أو المال

هذه لمحة من الرسوم والتقاليد التى كانت تجرى عليها الدولة الفاطمية فى تولية خلفائها ، وهى رسوم ملوكية عريقة يطبعها لون من البذخ الساحر ، وقد كانت الدولة الفاطمية ، وهى أولى الدول الاسلامية المستقلة بمصر ، دولة البذخ والبهاء ، وكانت رسومها وتقاليدها فيما بعد مستقى خصبا للدولة الاسلامية التى تعاقبت من بعدها فى عرش مصر (١)

محمد عبد الله عنان

---

(١) رجعنا فى هذا البحث الى خطط المقريزى ، وصبح الاعشى للقلقشندى وحسن المحاضرة للسيوطى ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وابن خلكان . الخ

دمـــوع الحب

للأستاذ يوسف البعينى

لتتذوق رحيق الفن ، وتتسلل إلى سراديبه الرهيبة وتعانق غوانيه المعطرة . . يجب أن تقرأ - بول فاليرى - فقصيدة واحدة من هذا الشاعر العبقرى المجدد حياة فنية منفردة لها ألوانها وخطوطها وأصباغها . جملة صغيرة من ريشة بول فاليرى تعطيك معنى ألذ من تغريدة البلبل ، وأطرب من أنغام الرباب . وأعذب من الأحلام . . أما الحياة التى تلمسها فى سطوره وصوره فتبكى وتفرح ، تشكو وتبتسم . تغرد للصباح الضاحك ، وتكتئب للمساء الحزين ؛ حياة ككل حياة ، لكنها تختلف برموزها وأسرارها . وهذه الرموز والأسرار هى عبقرية الشاعر العظيم والفنان الملهم ؛ هى كائنه الحى الأعلى ؛ هى روحه التى غاصت فى البحر فالتقطت درره ، وتغلغلت فى الليل فاتشحت بازاره . وفى القلوب فاجتنت ميولها وعواطفها وشهواتها .

لقد قرأت أكثر مؤلفاته فتبينت فيها الفن المجنح الذى يفتح عينيك على صور موشاة بجميع ألوان الحياة وأدهنتها الرائعة . وما إن تحدق قليلا بسطر من سطوره حتى تتولاك رحاب الشاعرية ؛ هى غيبوبة بعيدة القرار يشملك بها الشاعر الفنان فيريك بهجة الربيع واخضراره ، ويسمعك عويل الخريف وشكواه . وإن شاعراً يغمرك بكل ماتشتاقه الروح ويحلم به القلب ليعرف من الحياة غير أسمائها ، ويقرأ من الكلمات أكثر من حروفها ، ويبصر فى مشاهد الأعراس والمآتم غير ما يبصره الناس !

* * *

ومن أروع ما طالعته أخيراً لهذا الشاعر الساحر رسالة دعاها - دموع الحب - قرأتها بروح نهمة تريد أن تتفهم معانى الحياة وتستكشف أسرار الجمال فاذا هى قطعة فنية

خالبة يشوقك ما فيها من تقديس لدموع الحب ، الحب الذى يتفجر من صدر المرأة فيبقى خافقاً فى روع الماضى والحاضر والمستقبل . وليت شعرى هل فى العالم حديث أعذب من حديث رقيق تدبجه ريشة الفنان المتعبد للمثل الأعلى فى ساعات وحيه وإلهامه ؟ إن الكلمة التى تتحدر فى قلبك وقد تشربت بدموع الحب وتسربلت بضبابه لهى الكلمة الحية ، بل هى الكلمة الخالدة التى تتباغم بها أشباح الأيام والليالى

لكننى وقفت مبهوتاً أمام مقطع صغير عنوانه ـ انتحار ودموع ـ لا لشىء إلا لأنه مقطع تنبو عنه الحياة ، وإن يكن يستظرفه الفن ؛ وينبذه الحب الروحانى الملظى بجمر التضحية والمدمّى بالألم والاستشهاد ، وإن تكن ترتضيه الشهوة الوحشية المتغطسة . . وإنى لمورد خلاصته فيما يلى لتعلم أن الشاعر مهما مُنح من فن وإبداع . وأوتى من تصور وإدراك ، يظل جاهلا أسرار المرأة ، رازحاً من حبها ودموعها على كلال

أما المرأة التى جاء الشاعر يقدس دموعها فى ذلك المقطع الصغير فهى ـ كليوباطرة ـ ملكة مصر وربة النيل . ولكن أصادقة تلك الدموع التى ذرفتها المرأة الحسناء على موت حبها ؟ هذا ما أريد معرفته . . فلتقرأ الآن خلاصة القصيدة :

قبل أن تودع كليوباطرة حياتها الزاخرة بذكريات الحب أحبت أن تهيء لعشاق جمالها مأدبة كبرى مثقلة بكرمها الملكى ، ففعلت : وبعد انتهاء المأدبة أحضرت لها وصيفتها الأمينة «إيراس» سلة مملوءة بالتين ، فكافأتها وشكرتها كثيراً ثم أخرجت من طيات ثوبها الفاخر خطاباً قصيراً لتسلمه الوصيفة إلى « أوكتافيوس » قيصر رومه فى ذلك العهد

وبعد هذا بحين انسحبت كليوباطره إلى مخدعها الشيق المزين بزهر الجلنار وجلست وحيدة ، وفى وحدتها الموحشة شرعت تحلم إلى أن اخضلت أجفانها بالدموع

بكت لأنها تذكرت أيامها الماضية ... تلك الأيام المخمرة بالحب !

إلا أنها لم تلبث أن مسحت دموعها ونظرت إلى وريقات التين نظرة عميقة مفعمة بالتأمل وطافحة بالحزن والألم . ذلك لأن عينى الحية الماكرتين كانتا تلمعان فى وسطها لمعاناً موجساً مخيفاً كنور الحباحب على قبر مهجور

وفيما هى تتناول الحية السامة بأناملها قالت تباغمها بكلام رقيق كنوم السحر : أيتها المخلوقة الفاتنة ، المرذولة من جميع الناس ، إنى أعبدك ... ولهذا ترينني لا أخشى لدغتك ! نعم لا أخشاها ... لكونها تريحنى من هذا العالم ، وتجمعنى بمن أحب ... ثم وخزتها وخزة موجعة فتململت الحية ولسعتها فى صدرها !

عند هذا نهضت كليوباطرة وتمددت على سريرها هامسة : ها أنذى أوافيك يا أنطونيوس ! يامن غذيت أزاهير أحلامى بالحب !

انتحرت ـ كليوباطرة ـ فاضطرب النيل وارتعشت أوراق النخيل فى مملكة ممفيس ... لقد ارتجف كل كائن حى خلا قلباً واحداً لم يرتجف ، هو قلب ـ أوكتافيوس ـ سيد رومة فى ذلك الزمن . لكنه على الرغم من كل ذلك فض الخطاب الصغير وتمتم قائلا :

إنها تريد أن تدفن مع حبيبها أنطونيوس . نعم ، تريد أن تعانقه دائماً بعد الممات . فليكن لها ما تبتغى ... هو الحب فلتبلل ضريحها دموعه المقدسة ،

***

هذا ملخص القصيدة . ففيه تلمس تخليد الشاعر لحب ـ كليوباطرة ـ ذلك الحب الذى شغل فريقاً من العبقريين فى التاريخ ، ولكن على الرغم من الجمال الشعرى والاشراق الفنى فى القصيدة أود أن أعرف أصادقة تلك الدموع أم كاذبة ، أشريفة أم أثيمة ؟

لم يبق بين الذين عنوا بتاريخ كليوباطرة من لم يمجد دموعها فى حبها ، ويطرى موقفها المؤثر فى ساعات انتحارها . أما أنا فأهزأ بتلك الدموع التى حملتها على الانتحار لأنها دموع لا يقرها الحب الروحى السامى الخاضع للتضحية

لقد بكت كليوباطرة وهي تنتحر ، ولكنها لم تبك على

حب مقدس ، بل على نزوة حمراء تصرمت وتبددت ... والحب الذى يسوده نزوان اللحم والعظام خادع كالتراب المذهب

إن أشرف أنواع الحب هو ما تندت به العاطفة واختمرت به الروح ، فدموعه تبقى منهلة فى المحاجر كندى الفجر . أما الحب الذى تولده الأعصاب فدموعه مستقطرة من الوحل لا من أجفان السماء

ولا يعتقدن القارىء أن كليوباطرة احتكرت وحدها هذا النوع الفريد من الحب الحيوانى الغليظ ، فهنالك امرأة تبزها هى (جان ديفال) التى أضرمت بضراوتها المستنكرة عبقرية - بودلير - شاعر فرنسا فى الجيل الماضى . فقد كونت فيه عنصرين متناصرين أبداً ... عنصر يستلينه جسدها الغامر بالشهوة ، وعنصر يحترق حنقاً منها فيجوب رحاب الروح شاكياً من تلك النار المشبوبة ، الناغلة بأحط انواع الحب . ومن يراجع كتابه المشهور - ازاهير الشر - وهو من اروع الكتب الشعرية فى دولة البيان يقرأ تلك المقاطع التى تصور انتحاره النفسى البطىء ، وهى عندى من ابلغ ما أخرجه الشعراء فى العالم

فانظر كيف يصفها الشاعر :

« عندما أجلس قربها فى ليالى الخريف الدافئة مستنشقاً شذا صدرها الحار . . . تحملنى الأحلام إلى بلاد سعيدة رافلة فى حلل وضاءة من نور الشمس فأرى فيها نساء تسيك أجسامهن الفاترة المتكاسلة لما يعذبها من شهوة مخدرة ، وبرح أليم !

وعندما تنتقل متمايلة فى غلائلها الهفافة ، المنبهة للحواس . . . إخالها ترقص كتلك الأفاعى الخبيثة التى يرقصها الحواة فى الشرق على أنغام الشبابة الحزينة !

وعندما تتمدد عند أقدامى مستضرعة إلى بأرق كلمات الصبابة لكى أطفىء جذوة لحمها المحرقة . . . أحسبنى أرى موجة من أمواج البحر العرارة تتراخى واهية على الشاطىء بعد أن أفرغت الزبد من فمها !

- هى بعينيها المتقدتين كأشرار المعادن

- وهى بلحمها الوضاء المغرى كجمرة الأتون الحمراء

- إن فيها بريقاً وناراً . . .

- وإن فيها الهيباً وكبرياً !

- هى امرأة سحرية . . . تمثل لك بجمودها المخزى أبا الهول الصامت ، وبشهوتها اللافحة حية هائلة مخيفة ! »

ثم انظر كيف يصفها هنا :

« أحبك وأمقتك معاً أيتها الفاجرة الطاعنة قلبى بخنجر سام ، الناغلة فى جسمى كما تنغل الحشرات فى جيفة منتنة !

المادرة فى روحى كالشياطين !

أيتها الضارية المتخذة شرفى سريراً لفحشائها ، أيتها الساقطة المكبلة إرادتى بالأصفاد ، انى اكرهك ... فلعينة أنت !

لقد استغثت بالسماء ان تقبضنى اليها . واستنجدت بالموت تخلصاً من موبقاتك ... فلا السماء سمعت دعائى ، ولا الموت استجاب طلبى ، وكيف تفعل السماء والموت وأنا أنزف دمى على مضجعك الفاسد ، وأنحر جسدى فى طريق استهتارك المتقنعة ؟ »

* * *

إن دموع الحب رائعة ومؤثرة عند ما تجيشها العاطفة المسحوقة ، ويحركها الاحساس الذبيح . أما اذا أجراها الغرام العابث فهى أفظع من المقصلة ، وأقسى من العبودية

مسكين اذاً - بول فاليرى - لقد أخطأ وهو يصور دمعة من دموع الحب . فلو انه رسم لنا دموع الذين يموتون من اليأس ، ويأسهم من خيانة المرأة لكان أبدع وأجاد

إن الحياة ، الحياة المتغلغلة فى القلوب والأرواح والسابحة على أمواج الماضى والحاضر والمستقبل ، إن هذه الحياة لتهزها نبرة الشاعر العبقرى وتفتنها ألوانه وخطوطه وأصباغه التى يطلى بها قصائده . أما الدموع الكاذبة الأثيمة التى يسعى إلى تقديسها بذلك البيان المورق الأنيق لتنفر منها ولا تقرها أبداً !

« البرازيل » **يوسف البعيني**

في الأدب المقارن

أثر المـــرأة

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

للمرأة أثرها الخطير في المجتمع ، ولمنزلتها من الارتفاع أو الانحطاط أوثق الصلات بتقدم المجتمع أو تأخره ، واطراد رقيه أو ابتداء تدهوره ، ولنظرة الرجل إليها ومعاملته إياها أبلغ الدلالة على سمو الأخلاق أو تدليها ، فالمرأة هي الأليف الذي يسكن إليه رجل اليوم ، والمربي الأول الذي ينشئ رجل الغد ؛ فاذا كان ذلك يأوي منها إلى صحبة ممتعة للنفس مغذية للشعور ، وكان هذا ينشأ في حجر راعية نيرة حازمة ، فقد توفرت للمجتمع أكبر أسباب السعادة والنجاح ، أما حيث تحتقر المرأة وتذاد عن نور العلم ازدراء لها واستهانة بوظيفتها ، ويساء فهم علاقتها بالرجل حتى لا تحسب تلك العلاقة سوى شهوة تافهة ، فذاك مجتمع دوام انحطاطه محتوم ، واطراد تدهوره بدهي ، إذ لا نجاح لمجتمع تغمط فيه مكانة المرأة ، وتغفل وظيفة الأم ، وتجهل نعمة التعاون الزوجي

ولما كان للمرأة هذا الأثر العميق في المجتمع ورقيه وآدابه العامة ، كان لها في أدب اللغة أثر بعيد ومكان ظاهر ؛ فالى منزلتها من الرفعة أو الضعة ترجع الصبغة التي ترين على الأدب من وقار وعفاف أو استهتار وفجور ، وعلى التغني بجمالها والترنم بحبها يتوفر باب من أهم أبواب الأدب وهو النسيب ، وارتفاع شأنها في المجتمع مقرون دائما بازدهار الأدب ، لأن المجتمع الذي يجل المرأة ويتغنى بمحاسنها مجتمع صادق الشعور ، عالي النفوس ، وبعكس ذلك المجتمع الذي يزدري المرأة ويسخر منها وترين فيه الشهوة لا ينتج علماً ولا أدباً ، وارتفاع شأن المرأة في المجتمع مقرون كذلك بمساهمتها في الأدب منشئة وناظمة وناقدة ، والأدب لكل هذه الأسباب مرآة صادقة واضحة لمنزلة المرأة في المجتمع ، ومنزلة المجتمع من الرقي ، وحظه من الأخلاق

كان للمرأة العربية على العموم في الجاهلية وصدر الاسلام لاسيما نساء السادة والأشراف ، منزلة عالية : كانت تشارك الرجل أعمال السلم وتعاونه في إبان الحرب ، واشتهرت نساء كثيرات في تاريخ تلك العهود ، واحترفن الأعمال كالطب والتدريس ، وشاركن في السياسة فتركن أثرهن في سير الحوادث ، وزاد الاسلام منزلة المرأة ارتفاعاً وحررها من كثير من أسباب الشقاء التي كانت تقاسيها نساء الطبقات السفلى ، ومما له دلالته على مكانة المرأة إذ ذاك أن كبار الرجال كانوا يغمزون بالانتساب إلى أمهاتهم وعصبياتهن ، وكانوا يلقبون في مواقف التبجيل والمدح بابن هند وابن عائشة وابن ذات النطاقين

هذه المكانة المحترمة التي تمتعت بها المرأة في المجتمع في ذلك العصر ، تركت آثارها واضحة في أدبه : فقد كان أدب ذلك العصر مزدهراً قوياً صادق العاطفة نبيل الغرض في جملته ، وكان للمرأة فيه ذكر مردد ، تستهل بذكرها القصائد ، وتنظم في الترنم بحبها الأشعار . ويسجل الشاعر حواره مع زوجه في شتى الشئون في القصيدة يبدأها بقوله : « وقائلة . . . فقلت لها . . . » ؛ وبلغ النسيب في هذا العصر أعلى درجاته من الرقي وعمق الشعور وعفة المقال . وما أجمل نسيب عنترة بعبلة ، ومناجاة جميل لبثينة ، وهتاف قطري بن الفجاءة بزوجه أم حكيم ؛ وساهمت المرأة في الأدب ، فأثر عن كثير من الأعرابيات غرر من سحر البيان ، وعرفت نساء من خيرة المسلمات بالرواية والنقد ، وظهر في هذا العصر أكبر شاعرتين في تاريخ الأدب العربي : الخنساء وليلى الأخيلية اللتان ضارعتا الفحول رصانة قصيد وجودة معان ؛ وكان بجانبهما العدد العديد من الشاعرات المجيدات اللائي كان بعضهن يساجلن محبيهن شعراً ؛ وتفاخر الشعراء بالعفة وحسن المعاشرة والجوار ورعاية مكانة المرأة ، قال مسكين الدارمي :

ما ضر جاري إذ أجاوره ألا يكون لبيته ستر
أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

هنالك بلغ المجتمع الاسلامي أوج رقيه ، ثم داخلته عوامل الفساد بتضخم الملك الفجائي وانتشار الثروة والجواري والغلمان وذيوع الترف والانصراف إلى الشهوات ، ومخالطة الشعوب المختلفة واقتباس الضار من تقاليدها . ووهنت أخلاق العرب القويمة التي رفعوا بها لواء سيادتهم ، فضعفت روابط الأسرة بذيوع التسري ، وانحطت نظرة الرجل إلى المرأة بانتشار صناعات القيان والمغنيات والراقصات ، وفشت الريبة وشدد الحجاب على المرأة وعزلت عن المجتمع فحرمت العلم والنور والحياة ، وحرم المجتمع تأثيرها المرقق للشعور المتسامي بالآداب ، وازداد المجتمع انحطاطاً وشاع فيه هجر القول ، وخلا تاريخ ذلك العهد من اسم امرأة واحدة ذات أثر في حياة الأمة

فهذا الطور الثانى من تاريخ المرأة العربية مضاد للطور الأول سارت فيه مكانتها إلى انحطاط مستمر، وبدا أثر ذلك الانحطاط فى أدب ذلك العصر: اتسم بالاخاش والاقذاع، وضعف وحل التقليد فيه محل الابتكار، والزخرف اللفظى محل الشعور العميق وأصبح النسيب فيه إما بذيئاً شهوانياً كأشعار بشار. وإما تقليدياً وهمياً أجوف كاستهلالات البحترى، وشبب بعض المجان بالذكور، وتفنن بعض الكتاب كابن دريد فى أحاديثه وصاحب كتاب المحاسن والأضداد، والأصبهانى فى أغانيه فى إيراد القصص الشهوانية والنوادر التى تبدو فيها المرأة متاعا ينتهب، أو مخلوقاً نزقا خائنا متقلبا؛ ولم تنبغ فى الأدب امرأة يعتد بآثارها، وإذا كانت القيان قد ألهمن الشعر كثيراً من الشعراء، وكانت منتدياتهن مجمعاً للأدباء، فما أنتج ذلك كله إلا أدبا شهوانيا فاترا هزيلا، وبعد أن كان الشاعر فى الطور السابق يتمدح بتبجيل المرأة، ويتقرب إليها بالمكارم «لتحمد يوماً عند عز شمائله» كما قال كثير أصبح النيل منها والاغراء بها والتهكم بطباعها من هم بعض الشعراء، قال بشار:

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يسهل بعد ما جمحا

وقال غيره:

وإن حلفت لايخاف النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

وهكذا حرم الأدب العربى إلهام المرأة السامى الجليل، وما أقل ما بقى من مناحح القول لأدب حرم ذلك الالهام! وجاء شعر فحول العربية فى أوج ازدهار الأدب خلواً من تاريخهم الغرامى الصحيح؛ فهل كان لأبى تمام والبحترى والمتنبى غرام صادق عميق، صهرت فى تنوره نفوسهم، وتكشفت لهم الحياة من خلاله عن عوالم جديدة من الاحساس والتفكير. إن أثر ذلك معدوم فى شعرهم، وليس فى شعرهم إلا النسيب التقليدى الاستهلالى المملوء بذكر هند ودعد، والكثبان والأغصان، والأطياف والمدامع؛ لا يثير فى نفوسهم هذه العواطف العجيبة إلا الطمع فى عطايا الممدوحين، أما النسيب المستقل بكل القصيدة المقصود لذاته فليس هناك. وبلغ من موت العلاقة السامية بين الرجل والمرأة أن المتنبى نفسه كان لا يكاد ينظم فى النسيب الاستهلالى أبياتا تحمله عليها تقاليد الصنعة حتى يبرم ويتململ، فيزيح النسيب جانبا صائحا بصاحبته المتخيلة: صلينا نصلك فى هذه الدنيا، فان مقامنا فيها قليل، فان لم تصلى فاذهبى ودعينى أستطرد إلى ما هو أهم من أمرك من امتداح هذا الكريم ذى العطايا الجزيلة، أو ربما انقلب على محبوبته وجنسها هاجيا، فقال إن الغوانى جميعا ضياء فى بواطنه ظلام.

ولم يقتصر التهجم على المرأة على ذوى المجون وعبيد الشهوات بل اتخذ سبيله إلى كتابات المفكرين، وتقنع بمظهر العلم فى آثار المعرى الذى صب فى لزومياته جام غضبه على المرأة، ورماها بالغدر وشبهها بالأفعى، وعاد إلى تشديد الحجاب عليها ونهى عن تعليمها حتى تقويم السطور، ولا ريب أن مزاج المعرى السوداوى وحياته المقفرة من حنان المرأة، ونقمته على الحياة جميعا، كل ذلك كان ذا أثر فى نظرته القاسية إلى المرأة، واعتباره إياها رمزا للحياة فى جهلها وتقلبها وغدرها، بيد أن ظروفه الشخصية التعسة هذه إنما هيأته ليكون معبرا عن أفكار عصره الذى كان يعج بالفساد والاضطراب والانحطاط الخلقى، فلا ريب أنه كان يجد آذانا صاغية، وأنه مسؤول عن بعض ما حاق بالمرأة بعد ذلك من قهر وإهمال.

فتاريخ المرأة العربية طوران: الأول طور رقى مصاحب لسمو الأخلاق ورقى المجتمع ونهوض الدولة وازدهار العمران، والثانى طور انحطاط معاصر لقعود الهمم وتدهور المجتمع وإدبار السلطان وركود الأدب؛ أما تاريخ المرأة الانجليزية فهو طور رقى مستمر مطرد من عهد شكسبير إلى الوقت الحاضر، ازدادت فيه المرأة حظا من التعليم والاحترام والمساهمة فى الأعمال، ولم تعترض ذلك الرقى المطرد إلا فترة رجعة فى عهد الملكية العائدة من فرنسا فى القرن السابع عشر، وما لبثت تلك الفترة الماجنة أن تلاشت إذ صمد لها الخلق الانجليزى المتين، وشمر لاماطة آثارها كبار الهمم من الأدباء المثقفين. وتابعت المرأة سبيل رقيها المقرون برقى الأخلاق وسيادة الآداب العامة وتقدم المجتمع.

كانت منزلة المرأة فى عهد اليزابث على درجة من الرقى محسوسة وكان بنات السراة ينلن من التهذيب مثل حظ البنين، واشتهرت منهن بسعة العلم كثيرات مثل ليدى جين جراى وليدى بيكون والدة الفيلسوف فرنسيس بيكون، وليس أدل على ارتفاع مكانة النساء فى ذلك العهد من قبول الشعب اليزابث، وهى بعد فى حداثتها ملكة عليه دون تردد، وإيلائه إياها من الولاء ما لم يوله غيرها من الملوك، وإظهارها هى حنكة سياسية بذت بها ملوك أوربا وساستها، ووضعت بها أساس مجد انجلترا، وازن ذلك بما كان من ارتياع الناس فى عهد انحطاط المرأة العربية سالف الذكر، حين وليت شجرة الدر عرش مصر، حتى بعث الخليفة العباسى يوبخ أمراء مصر ويتوعدهم بالويل والثبور. إن لم ينضحوا ذلك

العار الذى يبقى فى الأجيال ، على حين لم يحرك أسلافه ساكنا يوم ولى نفس العرش عبد خصى ، كان يبرى بظفره القلم .

وأثر المرأة الانجليزية فى الأدب تبعا لرقى منزلتها الاجتماعية جليل ، يزداد وضوحا وشمولا على تقدم العصور : فهى تبدو فى قصص تشوسر تشارك الرجال أعمالهم ، وفى درامات شكسبير مثالا للقدرة الفائقة أحيانا ، وموضعاً للحب والتقديس تارة ، ورمزاً للطهارة والوفاء طورا ، وفى أشعار شكسبير ومعاصريه ومن جاءوا بعده من كبار شعراء الانجليزية نسيب حار العاطفة سامى النظرة ، وفى القصص والشعر دراسات لشتى الشخصيات النسوية ، وفيهما تمجيد للجمال وتبجيل للمرأة ، يتوسل إليهما بسرد خرافات الاغريق وبطلاتهم وإلاهاتهم ، وأساطير القرون الوسطى ، سردا شعريا خياليا ؛ وضربت المرأة فى انشاء الأدب بسهم وافر فكان من النساء شواعر وقصصيات بارين فحول الرجال

ويبدو أثر المرأة الانجليزية فى المجتمع والأدب الانجليزيين على أوضحه فى القصة : فقد كان للمرأة الفضل الأول فى ظهور هذا الضرب من الأدب ، فعلى أيدى اديسون وستيل اللذين اهتما بتثقيف المرأة وتنقية المجتمع ظهرت بذور القصة ، ولما أخذت القصة شكلها الاجتماعى الحديث فى القرن الثامن عشر ، كان للمرأة دور رئيسى فى حوادثها ، ولولا اختلاط المرأة الانجليزية فى المجتمع ومساهمتها فى الحياة لما نمت القصة ، ولا وقفت على قدميها ، وقد جاء نموها وذيوعها مصاحبا لنهضة المرأة وازدياد حظها من التثقف . ولما بلغ ذلك الرقى الاجتماعى غاية بعيدة فى القرن التاسع عشر ، بانتشار الديمقراطية وذيوع التعليم العام ، نبغت جمهرة من كبريات القصصيات بارين كبار قصصيى العصر الحديث ، وفى مقدمتهن جين أوستن وشارلوت برونتى ومزجاسكل

والقصة ضرب من الأدب يلائم طبع المرأة أكثر مما يلائمه نظم الشعر الذى هو أشبه بالرجل ، لأنه يحتاج إلى قوة وفخامة وشمول نظرة لا تتسق كثيرا للمرأة ، التى إنما صفاتها الدماثة والدعة ، أما القصة التى تدرس الحياة الاجتماعية وتصف الحركات والسكنات ، وتحصى التفاصيل وتتبع الحوادث وتسرد ما قيل وما فعل ، فتجد فيها المرأة خير مجال للتعبير عن خلجاتها ومشاهداتها ، وملاحظاتها الدقيقة للأشخاص والأشياء ؛ زد على ذلك ان المرأة تستطيع فى القصة ان تعبر على لسان غيرها عن نزعات الحب وأطواره ، تعبيرا لا يستساغ منها إذا هى أطنبت فيه شعرا

فالقصة أدب المرأة : ظهورها رهن برقى منزلة المرأة فى المجتمع ، فاذا ظهرت فحول المرأة يدور حديثها ، وبين النساء تلقى الرواج والاقبال ، وفيها تجد المرأة خير مجال لمواهبها الادبية ، ومن ثم أنتجت المرأة الانجليزية فى فن القصة خير إنتاجها الأدبى ، أما المرأة العربية فأخرجت أحسن آثارها فى الشعر فى طورها الاول ، فلما تطور المجتمع العربى وجاء أوان ظهور القصة الاجتماعية ، كانت عوامل الفساد سالفة الذكر قد اجتاحت مكانة المرأة وضربت بحجاب كثيف بينها وبين المجتمع والأدب ، فأقمئت القصة فى بدء نموها ، واستحال تطورها ورقيها ، وجاءت مقامات البديع التى هى الخطوة الأولى فى الأدب العربى فى سبيل القصة الاجتماعية ، خلوا من شخصية نسائية واحدة جديرة بالذكر ، ولم يعرض الحريرى إلا عجوزا يسحبها أبو زيد فى استجدائه ، او لكاعا ينابزها وتنافسه فى بذائه

ولنجاة المجتمع الانجليزى من مثل تيار الترف الجارف الذى غمر المجتمع العربى ، عقب الفتوح ، ظل ذلك المجتمع رفيع الآداب قويم الأخلاق ، وظل الأدب عفيف المقال ، وظل النسيب شريف اللفظ والغرض ، وخلا النسيب الانجليزى مما تدرن به النسيب العربى فى عصره المتأخر ، من تحدث بالشهوات ووصف لأجزاء الجسم وهجاء للجنس اللطيف وتغزل بالذكور ؛ فاذا حمل على المرأة خصم عنيد كملتون الذى وصمها بالنزق والختل وجعلها دون الرجل منزلة ، وجعل شخصية « دليلة » فى قصته الشعرية «شمسون الجبار» نموذجا لها ، أو سلك مسلك الاستهتار والتبذل كبيرون الذى كان يقرن الانقياد للشهوات باحتقار المرأة ، لم يجد من حوله إلا صدى ضعيفاً لا يلبث أن يتلاشى مع صوته ، ويتابع المجتمع سبيل تقاليده التى درج عليها ، تقاليد الاعتدال والتعفف واحترام المرأة

فأثر المرأة فى الأدبين العربى والانجليزى جلى خطير ، بيد أنه أجلى وأجل خطرا فى الأدب الانجليزى ، وهو فى الأدب العربى دليل ارتقاء تبعه انحطاط ، وفى الانجليزية برهان ارتقاء مطرد ، فى المجتمع والأخلاق والأدب ، ومكانة المرأة الانجليزية العالية فى مجتمعها مرد ما يمتاز به الأدب الانجليزى عامة والنسيب خاصة ، من عفة ووقار ؛ وهبوط مكانة المرأة العربية فى عصور التدهور مرجع الفحش الذى ذاع فى النسيب والهجاء وغيرهما من أبواب الأدب العربى فى عصوره المتأخرة ، وبرغم تساوى المرأة العربية والمرأة الانجليزية فى تقصيرهما دون الرجل فى حلبات الأدب ، وضآلة أثرهما فيه إذا قيس بآثار الرجل فى شتى الأغراض ، فإن المرأة الانجليزية تفوق العربية فى كثرة إنتاجها الأدبى ، كما فاقتها فى كثرة ما أنشأ الرجل حولها من أدب ، وما استلهمها من وحى ، للسبب عينه : وهو أن المرأة الانجليزية كانت أكثر مساهمة فى المجتمع وأرفع منزلة فيه

فخرى أبو السعود

الاسلام والديمقراطية

للاستاذ عبد المجيد نافع

بقية ما نشر في العدد الماضي

رأى عمر مرة يهودياً ممسكا برسول الله يطالبه بدين له ، فعظم ذلك عليه وأخذ بخناق اليهودى وقال : دعنى أقتله يارسول الله . فقال : دعه يا عمر إن لصاحب الحق مقالا

وخطب أبو بكر فقال : القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق إن شاء الله تعالى

واختلف عمر مع اعرابى فاحتكما إلى أبى بكر فقال : قف بجانب خصمك وقص يا ابن الخطاب قصتك . فقام عمر وعلى وجهه أثر الامتعاض . فقال له أبو بكر : أيسوؤك أن تقف بجانب خصمك ؟ قال : لا . ولكن ساءنى أن كنيتنى وفى الكنية تعظيم

ولما أسلم جبلة بن الأيهم ملك غسان وفد على عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه فتلقاه عمر بالترحيب ، وبينما هو يطوف يوماً وطىء على إزاره اعرابى فضربه على وجهه ، فشكاه الاعرابى إلى أمير المؤمنين ، فاستدعى عمر جبلة وقال له : إما أن ترضيه وإما أن يضربك كما ضربته . فكبر ذلك على جبلة وقال : ألا تفرقون بين الملك والسوقة ؟ قال : لا . قد جمع بينكما الاسلام . فاستمهله إلى الغد ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا ، ولحق بالأمبراطور هرقل بالقسطنطينية

وعزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد من قيادة الجيش وقال له : ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس

على أن نفس خالد كانت متشبعة بمبادىء المساواة ، فارتضى أن يهبط من القيادة إلى مصاف الجندية ، وأن يكون فى الجهاد جندياً بسيطاً

وإن شئت أن ترى آية من آيات المساواة فى الاسلام فأنعم النظر فى كتاب عمر إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء حيث يقول : آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك

وكذلك كان يبغى عمر العدالة ومظاهر العدالة

وجمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال : إنى كنت امرأ تاجراً وقد شغلتمونى بأمركم هذا فماذا ترون أن يحل من هذا المال ؟ فأكثر القوم وعلى رضى الله عنه ساكت . فقال : ياعلى ما تقول ؟ قال : مايصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره . فقال : القول ما قال على بن أبى طالب

وما كان المسلمون يأنفون من العمل الحر الشريف ، فقد كان أبو طالب يبيع العطر وربما باع البر . وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بزازا . وكان عثمان بزازا . وكان طلحة بزازا . وكان عبد الرحمن بن عوف بزازا . وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل . وكان العوام أبو الزبير خياطا . وكان الزبير جزارا ، وكان عمرو بن العاص جزارا

يفاخرنا الغربيون بعظمائهم الذين خرجوا من صفوف العمال وأولئك بناة مجد الاسلام قد خرجوا من جميع البيئات . ونبتوا فى كل الطبقات

وما سقت لك تلك الأمثال عبثا ، وإنما أردت أن أدلك على أن المساواة فى معناها الصحيح ، وفى كافة مظاهرها ومختلف صورها لم تتحقق يوما كما تحققت فى الصدر الأول من الاسلام

مساواة أمام القانون ، فقد شرع للناس كافة لا فرق بين عظيم وحقير ، وغنى وفقير ، وقوى وضعيف

مساواة أمام القضاء ، ولقد أطلعتك على جانب منها فى أروع مظاهره وأسمى معانيه

مساواة فى الوظائف العامة ، فقد رأيت كيف ينشأ الرجل منهم فى البيئة الصغيرة ثم يصل إلى أسمى مناصب الدولة

مساواة فى الضرائب ، فما كانوا يرهقون أحداً أو يظلمون فتيلا

وعلى الجملة فقد كانت مساواة فى الحقوق والواجبات

حقق الاسلام مبدأ المساواة السياسية والمساواة المدنية على أنه لم يشأ أن يمنى أتباعه بالمساواة الاقتصادية أو بعبارة أوضح بالمساواة فى الأرزاق ، ذلك بأنه دين الفطرة

وكيف السبيل إلى المساواة الاقتصادية ، وفى الناس العملاق والقزم والقوى والضعيف وجبار العقل والأبله المعتوه

إن نواميس الطبيعة تأبى المساواة الاقتصادية ، ولئن جاز أن تكون فى هذا الميدان مساواة فأولى بها أن تكون مساواة فى البؤس والشقاء

رأى الاسلام أن المساواة الطبيعية مستحيلة . فقال تعالى فى

محكم كتابه : وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات

وشاء الاسلام أن يلطف من قسوة قوانين الطبيعة فشرع الزكاة . وعندى لو أن نظام الزكاة طبق على وجهه الصحيح لوجدنا السبيل إلى حل المسألة الاجتماعية التى عجز إلى اليوم عن حلها فطاحل علماء الاجتماع فى أوربا . تلك المسألة التى كانت مثار النضال بين الطبقات ، ومبعث المذاهب المتطرفة والنظريات الهدامة

وإذن فليس من الاسراف فى القول أن يقال ان الاسلام هو الحصن الذى يرد غزوة المذاهب الهدامة التى تهز كيان المجتمع الأوربى أعنف الهزات ، وتهدد الحضارة الأوربية بالتلاشى والفناء

لم تعرف أوربا المساواة فى القرون الوسطى فقد انقسمت الشعوب إلى طبقات ممتازة وطبقات محرومة من الامتيازات ، وكان للاشراف قوانينهم الخاصة ومحاكمهم الخاصة وعقوباتهم الخاصة وضرائبهم الخاصة ، وكانت المدارس الحربية تحرم دخولها على طبقات الشعب ، وكانت المناصب الكبرى فى الدولة وقفاً على طبقات الأشراف

وهل تحققت المساواة بمعناها الصحيح فى أوربا اليوم ؟ لا تزال هناك مراحل كثيرة لا يزال على أوربا اجتيازها قبل ترسيخ قواعد المساواة

أو ليس النظام فى فرنسا مزيجاً من النظم الديمقراطية والأوضاع الملكية والأشكال الأرستقراطية ؟

وانجلترا التى يقولون عنها إنها مهد النظام الدستورى ومعقل الديمقراطية أوليس فيها إلى اليوم لوردات ومجلس لأولئك اللوردات ؟

أثار كاتب فرنسى الشكوك حول تحقق مبدأ الحرية السياسية فى فرنسا فاسترعى النظر إلى أن رأى الأمة الفرنسية لا يؤخذ فى أمس الشؤون بحياتها وأشدها تعلقا بمصيرها كحالة الحرب مثلا

واستلفت ذلك الكاتب الأنظار أيضاً إلى أن القضاة فى فرنسا يؤخذون من بيئات خاصة والحلفين من طبقات عليها مسحة الارستقراطية ، واختلاف العقوبة حين يرتكب الفعل الواحد غنى أو فقير

والحكم مع إيقاف التنفيذ ؟ أفلا يكاد يستأثر به الغنى دون الفقير مع أن الغنى قد يكون اختلس مبالغ طائلة أو بدد أموالا كثيرة ؟

أفلا يسخر المداره المقاويل من كبار المحامين بلاغتهم فى انتزاع الأغنياء دون الفقراء من براثن العدالة ؟

وهل يتاح للفقير ما يتاح للغنى أن يبقى بملابسه فلا يرتدى ملابس السجن ، ويأكل من بيته فلا يأكل من طعام السجون حين يكون سجيناً تحت التحقيق مقابل جعل بسيط تتقاضاه منه إدارة السجن ؟

وأين المساواة إذا كنتم أيها الغربيون تسلحون الأغنياء بأسلحة العلم العالى وتجردون منه الفقراء الذين لا يكادون يجدون السبيل إلى ثمن الخبز فضلا عن أجر التعليم ؟

ليس عجيباً إذن أن يهاجم الديمقراطية خصومها تارة باسم العلم وطوراً باسم الواقع

وليس بدعاً أن يصيح صائح : المجتمع الأوربى يسعى للمساواة ولا يجد السبيل اليها ، شانه فى ذلك شأن الانسانية التى تجد فى طلب السعادة والحقيقة فلا تظفر بهما كما أعيا طلابهما فوست جيته

التسامح الدينى فى الاسلام يقابله الاضطهاد الدينى فى أوربا فى عصور الظلمات

وإذا ذكرنا اضطهاد الفكر والعقيدة ذكرنا محاكم التفتيش

وفى الحق لم تشهد الانسانية قضاء أشد نزوعا إلى الظلم وأكثر جنوحاً إلى القسوة من قضاء محكمة التفتيش

نهضت تلك المحاكم لتصد عن الكنيسة تيار الالحاد المتدفق ، فلئن كانت دينية فى نشأتها فان التعصب قد سخر العدالة فى سبيل تحقيق لبانته وغايته

وفوق ذلك فقد وقفت تناهض كل حركة فكرية وعلمية ، ولعل من أبرز ضحاياها غاليليو الرياضى الفلكى الشهير . أحدث ذلك العالم ثورة فى العلوم الفلكية ولبث ردحا من الزمن يواصل العمل فى بث نظرياته فى دوران الأرض . فاصدرت البابوية ، وفاقا لآراء أحبار محكمة التفتيش قراراً بنقض تلك النظريات وتحريمها ، واعتبارها تحدياً للنصوص المقدسة . ونصح البابا لغاليليو بالكف عن نشر دعاويه . فلم يأبه الرجل لقرار التحريم ، ولم يحفل بذلك النصح ، ومضى فى خدمة العلم والحقيقة . وفى عام ١٦٣٢ نشر كتابه « محادثات عن الاصول العالمية » فأحدث صدوره رجة عظيمة واستقبلته دوائر العلم والفكر فى أوربا استقبالا حماسيا منقطع النظير . وهنا ثارت ثائرة الكنيسة وحرمت بيع الكتاب فى الحال . ودعى غاليليو للمثول أمام محكمة التفتيش فى روما ، فاعتذر بشيخوخته وضعفه وكان قد نيف على السبعين . فاستشاط البابا غضباً وعد تخلفه عصيانا . فأجاب الدعوة واعتقل فى قصر محكمة التفتيش فى ابريل من عام ١٦٣٣ . حقق معه وعذب ولم ترحم محكمة التفتيش شيخوخته وضعفه . وكانوا كلما أمعنوا فى تعذيبه ، ولجوا فى التنكيل به ، أمعن هو فى التشبث بالحق ، والاصرار على الحقيقة . فاذا زادوه نكالا صاح فى وجوههم : ومع ذلك فان الأرض تدور !

وإنه ليهولك أن تعلم أن عدد المحكوم عليهم من محاكم التفتيش المختلفة بلغ فى الفترة ما بين ١٤٨١ - ١٤٩٨، ١٢٥٢٩٤ منهم ٨٨٠٠ أعدموا باحراقهم و٦٥٠٠ أحرقت رموزهم و٩٠ الفا طبقت عليهم عقوبات مختلفة بالسجن والغرامة والتوبة

وفى الفترة ما بين ١٤٩٩-١٥٠٦ بلغ عدد المحكوم عليهم ٣٤٩٩٢ منهم ١٦٦٤ أحرقوا و٨٣٢ أحرقت رموزهم والباقون وقعت عليهم أحكام مختلفة

ومن ١٥٠٦ إلى ١٥١٨ بلغ عدد الضحايا ٥٠ر١٦٧ من هؤلاء ٢٥٣٦ ماتوا حرقا و ١٦٣٨ احرقت رموزهم والباقون طبقت عليهم عقوبات أخرى

والآن ندع التقدير للمؤرخ الشهير « لورنتى » وهو أكبر حجة وأعظم ثقة فى الموضوع

٣١ر٩١٢	أحرقوا
١٧ر٦٥٩	أحرقت رموزهم
٢٧١ر٤٥٠	طبقت عليهم عقوبات شديدة
٣٤١ر٠٢١	المجموع

والآن فاسمع هذا الوصف الذى تقشعر لهوله الأبدان وصاحب الوصف هو فيكتور هوجو ألقاه فى الاحتفال بتأبين فولتير :

فى ١٣ اكتوبر من عام ١٧٦١ وجد شاب مشنوقا . ثارت الخواطر واضطربت الأفكار . وهاج هائج رجال الدين بينا أخذ رجال القضاء فى التحقيق . ومشى الناس بعضهم إلى بعض يتساءلون : انتحار أم قتل ؟ وكان الاتهام منصبا على رأس الوالد . وقال الذين أثاروا الشكوك حوله إنه من الهجنوت وقد حال بين ابنه وبين إعتناق المذهب الكاثوليكى . وكانت البداهة تمج هذا الاتهام وتحمى الوالد من ارتكاب هذا الجرم الفظيع . وإلا فأى عقل يسوغ أن يسفك الأب دم الابن ويشنق الشيخ الشاب

وما لبث الناس أن شهدوا فى يوم ٩ مارس سنة ١٧٦٢ مشهداً هائلا رهيبا . رأوا رجلا جلل الشيب فوديه يساق إلى أحد الميادين العامة . ذلكم هو جان كالا . وما راعهم إلا أن يروا الشيخ المتهدم الفانى عارى الجسم مطروحا على عجلة موثق الأكتاف متدلى الرأس . ووقف إلى جانب المشنقة ثلاثة رجال فأما الأول فطبيب ليعنى به . وأما الثانى فقس يحمل الصليب . وأما الثالث فالجلاد وبيده قضيب من حديد .

وعرت الضحية نوبة ذهول واضطراب ، وتمشى الرعب فى أضالعه ، فما كان يرنو إلى القس بل كان يرمق الجلاد بنظراته المضطربة الحائرة ، وما يلبث الجلاد حتى يهوى بالقضيب الحديد فيهشم للمسكين ذراعا . أنين يمزق نياط القلوب يعقبه فقد الرشد . فيتقدم الطبيب فيعيده إلى الصواب بشم بعض الأملاح . فينبرى الجلاد لضربة جديدة . صرخات دامية ثم غيبة عن الصواب . يعيدونه للحياة والجلاد يعاود الضرب . وإذا كان كل عضو لا بد أن يكسر فى موضعين فلا مفر له من تلقى ضربتين . وإذن فقد تلقى المسكين ثمانى ضربات . وفى عقب الضربة الثامنة يقدم القس له الصليب ليقبله . على أن « كالا » يشيح عنه بوجهه . لو كانت الرحمة تجد سبيلا إلى تلك القلوب المتحجرة لقلنا إن كان فى نفوسهم بقية منها فقد أجهز الجلاد على « كالا » بضربة قاضية من رأس القضيب الغليظة ، حطمت صدره تحطيما . وبذلك وضع حد لعذاب كالا وآلامه . إذ فاضت روحه فى الحال

دام التعذيب ساعتين كاملتين ، وما إن مات كالا حتى تبين فى جلاء ووضوح أن الشاب مات منتحراً . على أن جريمة قد ارتكبت ومن هم مرتكبوها ؟ هم جماعة القضاة الذين قضوا على كالا بغير الحق .

وفى عام ١٧٦٥ بعد ليلة عاصفة وجدوا على افريز أحد الجسور صليباً خشبيا عتيقا ملقى على الأرض . ومضت ثلاثة قرون والصليب معلق فى رأس السور . فمن الذى طرح الصليب أرضا ؟ من ذا الذى اجترأ على ارتكاب ذلك الأثم ؟ لا يعلم أحد . أيكون أحد المارة هو الذى عبث به ؟ أم تكون الريح هى التى عصفت به ؟ ويرى الناس مطران « أميان » يرغى ويزبد ، ويبرق ويرعد ، ويتوعد ويتهدد بالنار كل من يعلم الحق ثم يكتمه . وهنا تتلاقى هوجاء التعصب مع هوجاء الجهالة . ولا تلبث العدالة أن تكتشف أو تتوهم أن تكتشف أن ضابطين مرا بالجسر وأنهما كانا ثملين وينشدان نشيداً حربيا ؛ فأما أحدهما فيلوذ بأذيال الفرار ، وأما ثانيهما « لابار » فيؤخذ بتلابيبه ، فيسأل ، فيعتصم بالإنكار ويقسم جهد أيمانه إنه لم يمر بالجسر . فيبدو لهم أن يسألوه عن شركائه . ولكن شركاءه فى ماذا ؟ أفى أنه اجتاز الجسر ؟ أم فى أنه أنشد وصاحبه نشيداً عسكريا ؟ ثم يعذبونه لينتزعوا منه اعترافا فيحطمون إحدى ركبتيه . والمكلف بأخذ الاعتراف منه يهوله صوت قرقعة العظام حتى يغيب عن صوابه من عظم الهول . ثم يسوقون لابار إلى أحد الميادين العامة ، وقد أذكوا فى بعض جوانبها نيرانا مضطرمة . يتلون عليه الحكم . فيكبرون احدى يديه . ثم يستلون لسانه بكماشة من حديد . ثم يرحمونه بأن يفصلوا رأسه عن جسده . ثم يلقون جثته طعاما للنيران ، وكذلك مات لابار فى ربيع العمر إذ لم يكن جاوز التاسعة عشرة وراح ضحية بريئة للتعصب الأعمى .

لم يقض الاسلام بالقاء أحد طعمة للنار لمجرد الزيغ فى عقيدته ولم يضطهد حرية الفكر والاعتقاد ، ولم ينكل بغير معتنقيه ولم يطارد العلماء والفلاسفة بل اتسع صدره للعلم والفلسفة .

وهنا لا نرى مندوحة عن أن نبدد وهما ، فنسارع إلى القول بأن حروب الخوارج لم تكن لها صبغة دينية على الإطلاق ، بل كانت حروبا سياسية بحتة .

نعم ، لم يكن مثار تلك الحروب الخلاف فى العقائد ، وإنما أشعلتها الآراء السياسية فى طريقة الحكم ، وما اقتتل الخوارج مع الخلفاء لينصروا عقيدة . ولكن سعيا وراء قلب نظام الحكم وتغيير شكله

وما اضطرمت نيران الحرب بين الأمويين والهاشميين لشىء غير الخلافة ، وبذلك كانت حروبا سياسية لا دينية .

وكان المسلمون إذا هموا بفتح أمة خيروا أهلها بين الاسلام أو الجزية . أو الحرب . وذلك هو أقصى ما يبلغ اليه التسامح .

فاذا أدخل الاسلام بلدا تحت ظلاله خلى بين المحكومين وبين حريتهم الدينية ، وما يكلفهم إلا بجزية يؤدونها صيانة لأنفسهم ومحافظة على أمنهم فى ديارهم وذودا عن عقائدهم ومعابدهم

لهم ما لنا وعليهم ما علينا
من آذى ذميا فليس منا
إن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم

ذلك هو شعار الاسلام فى معاملة الذميين

روى البلاذرى فى فتوح البلدان انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود وقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها

من ذلك ترون أن الجزية كانت تؤخذ مقابل الدفاع

يقولون إنا فى عصر عملى يكره الاحلام والحالمين

بل نحن فى عصر مادى فترت فيه حرارة الناس فى التعلق بالمثل العليا وانعدم إيمانهم بالمبادىء السامية أو كاد وأصبح من يتشبث فيهم بتلك المبادىء يسمى خيالياً يعيش فى السحاب

وترى خصوم الديمقراطية يهاجمونها بعنف وشدة ، فهذا يهاجمها باسم العلم وذاك يهاجمها باسم الواقع وغيرهما يتكلم عن أزمة الديمقراطية ، ورابع يخوض فى حديث إفلاسها

يقولون إن النواميس الطبيعية لا تعرف المساواة ، وإن الارستقراطية هى دعامة الحضارة والرقى ، وإن من الناس من يجب أن يعمل بيده ومنهم من يجب أن يتوافر على الأعمال العقلية ، وان حكماء اليونان كان لهم بعض العذر حين ذهبوا إلى تبرير الرق بضرورة أن يتفرغ الحكماء لادارة شؤون الدولة

ولا شك أن الديمقراطية تعانى اليوم أزمة شديدة بدليل أن الدكتاتورية قد غلبتها على أمرها فى بعض الأمم

على أن البقاء للاصلح من المبادىء والفوز معقود بلواء الديمقراطية فى النهاية إن شاء الله

فالذين بنوا الحضارة هم من الطبقات الشعبية لا من طبقات الأشراف .

والمشاهد الملموس فى أوربا أن طبقات الأشراف تفنى سراعاً

والمذاهب المتطرفة التى تغزو موجتها أوربا اليوم لا يلبث أن يتجلى زيفها حين يتبين للناس أنها تبنى لهم قصورا من الورق أو قصوراً فى أسبانيا

والاسلام الذى وقف طوال العصور فى وجه العواصف الهوج كالجبل الأشم هو الاسلام الذى يقف اليوم معقلا حصينا يرد عن العالم الاسلامى عادية خصوم الديمقراطية وعدوان دعاة المذاهب الهدامة

فاذا دعونا اليوم للتشبث بمبادئه والتعلق بتعاليمه فانما ندعو إلى الاحتفاظ بمعقل الديمقراطية ، إنما ندعو إلى الذود عن دين الحرية والأخاء والمساواة .

عبد المجيد نافع

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٩ —

الفلسفة الهندية

تمتاز بلاد الهند بخصوبة أوديتها ، وتعدد نباتاتها وكثافة غاباتها وتعقد مسالكها ، وكثرة منعرجاتها ومصاعدها ومهابطها ، وتباين أجوائها ومناخاتها ، ووفرة التناقض الطبيعي فى أرضها وسمائها ، فبينما ترى فيها جبالا شاهقة تتجاوز السحاب سموا ، وهضبات متفرقة تفصل بعضها عن بعض هوى سحيقة وحفر طبيعية عميقة ، وتلالا تتخللها من جهة كثبان ضخمة وتعترضها من الجهة المقابلة صخور عظيمة النتوء صعبة الاجتياز ، إذ بك ترى إلى جانب هذا أودية مبسوطة ومروجاً باسمة تتباهى بما تزدان به من ألوان الزهور وأفانين الثمار والبقول . وكذلك جوها لا تكاد تحس بدفئه وحرارته حتى يفاجئك برده ورطوبته ، بل إن الانسان — كما أنبأنى أحد الذين أقاموا فى هذه البلاد — قد يشكو من شدة الحرارة التى يحس بها فى جنبه الأسفل الذى يلى الفراش بينما يألم أشد الألم من الرطوبة التى تصب على جنبه الأعلى . ولا ريب أن هذه طبيعة غريبة قد يدهش لها المصرى الذى اعتاد أن يشاهد زيادة النيل ونقصانه ، واشتداد البرودة وتوسطها ، وارتفاع الحرارة وهبوطها ، وحرارة الشمس ووداعتها ، وحلول الفصول وارتحالها ، كل ذلك فى أوقات منظمة محددة لا تختلف إلا لشذوذ نادر يعلله العلماء حينا ويعجزون عن تعليله حينا آخر .

كان لهذا التعدد فى المناظر والمظاهر الطبيعية أثر بارز فى عقلية الهنود على رغم ما يوجهه بعض العلماء إلى نظرية تأثير المناظر فى العقليات من طعون واعتراضات يحطون بها من شأنها ويحاولون إثبات الأثر كله للعنصر ومواهبه الفطرية ومهما يكن من الأمر فقد استطاع التاريخ أن يتغلغل بالمدنية الهندية فى أغوار الماضى مدى ثلاثين قرنا قبل المسيح إذ يحدثنا أن تلك الأودية المخصبة كانت فى ذلك العهد مأهولة بقوم من الجنس السامى لهم مدنيتهم ودياناتهم وتفكيرهم ، وأن هؤلاء القوم قد ساهموا فى بناء صرح المدنية العالمية بنصيب وافر ، وكان لهم فى تاريخ الفكر البشرى مجهود جبار ظل مجهولا أو غامضا على الأقل حتى قام العلماء الأثريون والمستشرقون بمكتشفاتهم العلمية فأماطوا اللثام عن هذه الحقائق الناصعة وساعدوا البحث الحديث على رد الأشياء إلى أصولها ، وأبانوا أن الديانات الهندية المتأخرة والفلسفات العويصة التى ظهرت فى تلك الأصقاع إنما تتصل بالعناصر السامية القديمة أضعاف اتصالها بالمنتجات الآرية التى غمرت الهند بعد الفتح الأجنبى

يحدثنا بعض المؤرخين أن الهند كانت قبل هذا الفتح الآرى قبائل متفرقة او شعوبا صغيرة ، لكل شعب حاكمه وقوانينه وعقائده وعاداته ، وأن الوحدة السياسية والعمرانية إنما وجدت فيها على أيدى أولئك الفاتحين « الآريين » الذين يزعم الأستاذ « ماسون » أنهم كانوا في أزمنة لا تعيها ذاكرة التاريخ يقطنون وادى « الدانوب » المخصب فى تلك العهود الغابرة ، ثم عبروا البوسفور إلى آسيا لضرورة العيش الذى ألجأهم إليه قحل وقع فى وطنهم قبل هذه الهجرة التى لم تكن مألوفة لديهم على عكس الشعوب الأسيوية الرحالة . وما زالوا يتابعون سيرهم انتجاعا للغيث فعبروا الفرات وواصلوا الزحف حتى « البنجاب » ، وأخذوا يغيرون على تلك البلاد الخصبة الوادعة حتى بسطوا سلطانهم عليها وأسسوا بها وحدات قوية يصح أن تسمى دولا ، وكان ذلك حوالى القرن الخامس عشر قبل المسيح . ومنذ ذلك العهد بدأت الهند فى مرحلة جديدة فى الدين والفلسفة والعلم والسياسة ، وهذه المرحلة هى التى تشغل الآن أذهان الباحثين المشتغلين بدراسة الفلسفة الهندية

أما الأغصان الأخرى التى بقيت فى الدانوب من تلك الدوحة الآرية فقد انتشرت فى أوروبا يحمل كل غصن منها اسما خاصاً به مثل « السيلت » و « الجرمان » و « السلاف » و « اللاتين » و « الهيلين » ، وقد خالف أصحاب هذه الفكرة الرأى القديم القائل بأن أصل العنصر الآرى كان يقيم فى بلاد الهند ثم ارتحلت منه بطون إلى أوروبا فكانت منشأ هذه الأجناس السابقة الذكر . ولا ريب أن لكل منهما أدلة خاصة غير أن النار لم تكن هى الإله الأوحد عند هؤلاء القوم

تؤيد مذهبه ، لأن مجرد اتفاق هذه الأجناس الأوروبية مع آريى الهند فى اللغة « السنسكريتية » وفى بعض العقائد والنظريات لا يؤيد الرأى الأول ولا ينصر الثانى ؛ غير أن أصحاب الرأى الحديث يزعمون أن مكتشفات حديثة يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل المسيح تؤيدهم فيما ذهبوا إليه من أن الهجرة كانت من أوروبا إلى آسيا . وسواء أصح الرأى الأول أم الثانى فان الاستكشافات الحديثة التى قام بها العلماء منذ أن بدأها الأستاذ «بانيرجى» الهندى ، وثنى على أثره فيها « سيرجوهن » تسمح لنا بأن نؤكد أن مدنية الهند الغابرة تمتد جذورها فى الماضى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح ، ولكن هذه المدنية التى كانت قد ازدهرت فى وادى « البنجاب » قبل احتلال « الآريين » لتلك الأصقاع بأكثر من خمسة عشر قرناً قد اندثرت قبل هذا الاحتلال بزمن لا يعرف التاريخ تحديده بالضبط .

ويؤكد فريق من الباحثين أن تلك المدنية القديمة كانت راقية رقياً يسمح لها بأن تصعد إلى ما هو أدنى من صفوف المدنية الفرعونية بقليل ، ويجعل « الآريين » الفاتحين إلى جانب الوطنيين برابرة متوحشين . وأنت ترى أن هذا الرأى يخالف ما نقلناه لك آنفاً من أن السكان الأصليين كانوا شعوباً منتشرة أقل مدنية من الفاتحين ، وأن « الآريين » هم أول من حققوا لبلاد الهند الوحدة السياسية والاجتماعية .

ومهما يكن من شىء فقد احتل أولئك « الآريون » تلك الأصقاع المتمدينة وطغوا على مدنيتها وديانتها طغياناً محاهما من صحائف أذهان الخاصة وإن كان لم يستطع أن يمحوهما من صحائف الوجود ، بل ولا من أذهان العامة والجماهير .

هذا ، وللعلماء الباحثين موطد الأمل فى أن يصلوا على مر الزمن إلى حل رموز الآثار الهندية القديمة التى أنشأها الوطنيون قبل الاحتلال الأجنبى ، فاذا وصلوا إلى هذه البغية استطاعوا أن يتبينوا المدنية الهندية القديمة والديانة المحلية وما امتزج بهما وطغى عليهما من مدنية الفاتحين وديانتهم . أما الآن فأكثر ما يقال فى هذا الصدد لا يعدو دائرة الفرض والتخمين .

على أن أهم ما يلفت النظر فى الاكتشافات الحديثة للآثار الهندية القديمة هو أنه قد عثر على بعض تماثيل يرجع تاريخها إلى عهد المدنية الأولى ، ولكنها تشبه كل الشبه تمثال الإله «سيفا» الذى هو من آلهة عهد الاحتلال « الآرى » ، وكذلك عثر المكتشفون على رموز يرجع تاريخها إلى القرن الثلاثين قبل المسيح ، وهى لا تزال حية فى الديانة الحديثة حياة قوية .

ويستنتج الباحثون من هذا أن الإله « سيفا » ليس إلا إلهاً محلياً قديماً لونه الفاتحون بلون جديد ثم أقروه فى الديانة المحدثة ، كما أن تلك الرموز الحية فى الديانة « الهندوآرية » هى بعينها الرموز الوطنية القديمة . وينجم عن هذا أن تكون الديانة الهندية المستحدثة بعد « البراهمانية الأرثوذوكسية » مزيجاً من الديانة المحلية المندثرة والديانة « الهندوآرية » ولكنه كان مزيجاً مجهولا لدى الهنود أنفسهم ولدى جميع العلماء والمؤرخين حتى ظهرت استكشافات « بانيرجى » الأخيرة

وتدل دراسة الديانة الهندية بوجه عام على أن الهند هى بعد مصر البقعة الثانية التى يصح أن يطلق عليها اسم أرض الآلهة والتى لا يفوقها فى كثرة آلهتها وتعقد مشا كلها الدينية وصعوبة تحديد اختصاص الآلهة وسعة الخيال وخصوبته فى تصوير المعبودات إلا بلاد الفراعنة

الديانة المحلية

لم يصل الاكتشاف الحديث بعد إلى الدرجة التى يصح معها للباحث الدقيق – كما أسلفنا – أن يصدر حكما جازماً على الديانة المحلية التى سبقت عهد الاحتلال « الآرى » إذ قد رأيت تناقض العلماء وتضارب آرائهم فى هذا الموضوع حيث يقرر فريق منهم أن الوطنيين الأولين كانوا أرقى عقلية وأعظم مدنية من الفاتحين . ويذهب فريق آخر إلى العكس فيقرر أنهم كانوا بطوناً منتشرة وقبائل متفرقة لا تربطهم مدنية اجتماعية ولا تجمعهم وحدة سياسية ، ولكن الذى لا ريب فيه هو أن أولئك القوم كان لهم ديانة مهما تبلغ من السذاجة فان لها قيمة تاريخية لا يصح للمشتغلين بتاريخ العقلية الانسانية أن يهملوها . وتتلخص هذه الديانة فى أن النار كانت هى المعبودة المقدسة التى تقدم اليها الضحايا والقرابين من لحوم مشوية وخمور معتقة وألبان وخبز وأعشاب صالحة للأكل أو للتخمير إلى غير ذلك ، وأن كهنة النار الذين كانوا يتولون إيقادها كان لهم بين أفراد الشعب مكانة رفيعة وإجلال مفروض . وقد كان هؤلاء الكهنة سدنة للنار وسحرة وأساتذة فنيين يعلمون الشعب طقوس الدين وأركان العبادة .

وإنما كان هناك آلهة كثيرون ، بعضهم يتمثل فى الشمس وما تسكبه على الكون من نعمة الاضاءة والدفء والانعاش ، والبعض الآخر يتمثل فى تنين هائل أو وحش مخيف . وكان عدد أولئك الآلهة يصل أحياناً إلى ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين إلهاً متساوين حيناً ، ولهم رئيس أعلى حيناً آخر ، ولكن هذا الرئيس لم يكن هو خالق الأكوان ، لا لأن هؤلاء القوم كانوا دهريين أو طبيعيين ، بل لأن سذاجتهم كانت قد بلغت حداً حال بينهم وبين الرجوع بعقولهم إلى بدء الخلق ، فاقتصروا على التفكير فيما هو بين أيديهم فحسب ولم يتعدوه إلا إلى ماض قريب فرضوا فيه وجود عالم أحط منهم مرتبة وأقل مدنية . وبناء على هذا كان عمل الاله أو الآلهة عندهم مقصوراً على التصرف فى الموجود ولا يتناول الايجاد بأى حال .

وكانوا يعتقدون أن هناك عالما آخر وراء هذا العالم يدعى « عالم الأموات » وأن ملك هذا العالم هو أول ملك من أجدادهم وهو : « ياما » بن « فيفاسفان » كما كانوا يعتقدون أن الخيرين الذين يموتون وهم حائزون رضى الآلهة لا تكاد أرواحهم تغادر أجسامهم حتى يمنحهم أولئك الآلهة معرفة الغيب والقدرة على التصرف فى الكون وعلى تدبير الأقدار خيرها وشرها .

(يتبع) **محمد غلاب**

الرافعى فى الحجاز

مصطفى الرافعى

للأستاذ محمد حسين زيدان

ليست هذه الكلمة رثاء أرثى به الفقيد ولكنها حادثة وقعت لنا بسببه فأحب إخواني نشرها ليعلم الناس مكان الفقيد من نفس شباب الاسلام والعرب فى كل قطر ومصر

كنا أربعة نسمر حول مائدة فانتحى اثنان منا جانباً يتذاكران اللغة الانكليزية وجلس آخر يقرأ — يقرأ ضحى الاسلام — أما أنا فكنت أكتب موضوعا لجريدة (المدينة) وجاء صديق يحمل (الرسالة) ولم نكن قرأنا هذا العدد الذى يحمل ، إذ تأخر وصوله فقلت : الرسالة؟ الرسالة ! هاتها . فتصفحت الافتتاحية وخطوتها إلى كلمة الأستاذ أحمد أمين . فالأستاذ المازنى ، ثم إنى قرأت للرافعى « أمراء للبيع » ، فلما وصلت إلى منتصف المقال ألقيت الرسالة وقلت لأصدقائى « هلموا إلىّ — هيا بنا نؤمن ساعة — أقرأ لكم الرافعى » فقالوا : اقرأ . اقرأ . فأخذت أقرأ وهم سامعون ساهمون . يسمعون البيان بيان الرافعى . ويعجبون بالبطولة . بطولة الشيخ بن عبد السلام . ويهزءون بالقوة الغاشمة والامارة الكاذبة والجهل الفاضح . وما انتهينا من المقال حتى ملأ الاعجاب أفئدتنا . وهذا حالنا كلما قرأنا لأبى السامى ومن تصاريف القدر وأعاجيبه أنه لم تمض لحظة حتى وافانا البريد فطالع أحدنا (أم القرى) وفيها الخبر الفاجع المحزن خبر وفاة الفقيد ، فنزل علينا كالصاعقة ولقد كدنا لا نصدق ، قبل لحظة كان الرجل حيا يسمعنا بيانه وإيمانه ويطالعنا بعجيب من البطولة والصراحة والصرامة فى الحق وتأييد الحق . والآن هو ميت نسمعه أنين الحزين وبكاء المتألم ، وطفق أحدنا يبكى ويقول : لكم العزاء فى الرافعى فقد حرمنا نحن الناشئة أديبا كبيراً نتعلم منه البيان والأدب العالى والنبل والفضيلة ، حرمنا هذا فى زمن اتجه أدباؤه إلى ارضاء الساسة والعامة ، والعامة هم عصا الساسة يسوقون بها هؤلاء الأدباء ، وإن كان هؤلاء الساسة لا يتحركون إلا بما يرضى العامة لأنهم يستمدون سلطتهم على مقدرات الأمة وشؤونها من هذه العصا العوجاء « الرأى العام » وما هو الرأى العام « يرحم الله قاسم أمين » — قلت : حسبك فقد آلمتنا وأبكيتنا قال : أكتب حادثنا وحديثنا فى جريدة (المدينة) ليعرف هذا وإنى أعرفك لا تستطيع أن تكتب راثيا فالرثاء شعر ولست بشاعر ، وإنما أنا أبكى الفقيد بدموعى وفؤادى المحترق . قلت : أعرفك بكاء وإنى لعاجز . ولكن اسمع وما أردت أن أكون دونه — اسمع لقد انهدمت الدعامة الرابعة من دعائم (الرسالة) بموت الرافعى . وإنا لنرجو أن تعود ، فهى اليوم تقوم على ثلاث دعائم ، قال : لم أفهم فأفصح ، قلت : ياهذا ألا ترى أن دعائم الرسالة أربع :

العاطفة والشعر ، فالعقل والعلم ، فالتجربة والتهذيب ، فالايمان والفضيلة : رجل العاطفة والشعر الزيات يكتب بعاطفته من قلبه وحنينه وأنينه ليلهب عواطف الأمة ويوقظ شعورها ويوقد حماسها فتتجه نحو المثل الأعلى . يفعل هذا

لأن فيه طبيعة الشاعر الملهم المتألم المتأمل .

ورجل العقل والعلم أحمد أمين يكتب بعقله وعلمه ليثير عقل الأمة وليزيد فى علمها من علمها وتراثها فتسير فى طريق العقل النير والعلم الممحص ، يفعل هذا لأن فيه طبيعة القاضى النزيه والعالم المخلص ... ورجل التربية والتجربة المازنى يكتب من تجاربه ودراسته للنفس والأمة ليهذب من أخلاق الشباب ، فيسير على ضوء التجربة من حوادث الماضى . يفعل هذا لأن فيه طبيعة الأستاذ المربى

ورجل الايمان والفضيلة الرافعي يكتب بايمانه وعقيدته ليدافع عن ايمان الأمة ويثبت ايمان الأمة وعقيدتها ، فتسير بنور الايمان ثابتة العقيدة طاهرة المبادىء جريئة فى الحق صريحة فى نبذ الباطل ، يفعل هذا لأن فيه طبيعة المسجد وشيوخ المسجد ، ولان فيه أثراً من وراثة الأسرة المجيدة والبيت الرفيع من الفاروق رضى الله عنه الى عبد الغنى وعبد القادر وأمين وعبد الرحمن ومصطفى صادق . أسمعت ووعيت ؟ قال : سمعت وزد . قلت : وان هذا الارتباط بين كتاب الرسالة بدون تعمل وتعمد من أعاجيب نهضة الأمة ويقظة الأمة ورغبة الأمة وتوفيق الرسالة ، فهى قد لفظت وتركت غير هؤلاء الذين شذوا عن هذه المبادىء وضمت من سار على نهجها وخطتها . تركت غير هؤلاء عن غير قصد ولا عمد ، وان زعموا انهم تركوها حاسبين انها محتاجة اليهم مع انها فى غنى عنهم ، فليسوا هم أصحاب رسالة وان أيدوها بموقفهم السلبي ومناقضتهم ، فان جلاء الحق لا يظهر إلا بمزاحمة الباطل ، أسمعت ووعيت ؟ قال : هذا صحيح فزدنى . قلت : ماذا أزيدك ؟ وأخذتنى عبرة وطفقت أنشد بيت الرافعى الذي يرثى به أحمد تيمور باشا ، وما أحقه ان يرثى به .

تأتى المصائب كالتقليد فى نسق أما مصيبتنا هذى فتخترع

وبعد فهذه حادثة واقعة وحديث جرى مازدت فى ذلك شيئا . ويرحم الله أبا السامى فقد ناضل عن الأدب وجدد فى البيان . انه خلاق المعانى وملك الألفاظ يتلاعب بها كيف شاء . ناضل عن الأدب حتى كاد يستقر ، ودافع عن الدين والقرآن والنبى صلى الله عليه وسلم دفاعا يجزيه الله عليه أحسن الجزاء انه ولى الرحمة والغفران .

عن جريدة (المدينة المنورة) **محمد حسين زيدان**

أدب الرافعى أدب ممتاز

للسيد كمال الحريرى

المرحوم فقيد الأدب مصطفى صادق الرافعى فى وصف الجمال وصوره والتعبير عن آثاره فى النفس والروح طريقة ممتازة هو فيها طراز وحده بين أدباء العربية فى جميع عصورها . فانت من وصفه الجمال الإنسانى أمام لوحات بيانية سحرية ، تكاد الحياة والعاطفة والروح تنطق مجتمعة من خلالها . وهو فى الوصف الروحى العاطفى للجمال الإنسانى المادى ، صاحب مدرسة سدت فى فراغ الأدب ثغرة ما أغنت استعاراته وتشابيهه عن سدها شيئاً . ولا غرو فإن روح التعبير عن الجمال التى تسللت إلى أنامل فيدياس الإغريقى فأنشأت له من الصخر الأصم هياكل وتماثيل بشرية فى عاطفتها وحيويتها وروحها ، قد هبطت بعد أجيال على قلم الرافعى ، فأوحت إليه تحفه الأربع (1) فى فلسفة الجمال والحب . وأنا فى هذا الحوار الذى دار بينى وبين صديق الرسام إنما أعرض لوناً جديداً حيوياً من اصباغ وصف الجمال البشرى ، للأستاذ الرافعى وحده فضل استكشافه وفرضه على الأدب ، ولوددت أن الأدباء غمسوا فيه ريشاتهم حين رسمهم لوحات الجمال الإنسانى . ولا بأس أن أحتكم فى تذوق هذا اللون أو النفور منه إلى أدباء الرسالة ليقولوا فيه كلمتهم

لى صديق فنان فى الرسم ، ريشته لسانه ، وترجمانه ألوانه ، أسمعته جملة لى فى وصف أبى نواس وهى : لقد كان أبو نواس فى حدائق الكرخ فراشة شاعرة ترتع بين أغصان القدود وأوراد الخدود . ثم وقفت عند هذه الجملة منتظراً أن تروقه هذه الاستعارة . ولكنه ما زاد على أن قال : صعب على يا صديقى أن أتصور كيف يتجرد صاحبك أبو نواس من

(1) نعنى بها كتب رسائل الأحزان والسحاب الأحمر وأوراق الورد وحديث القمر

هيكله البشري ليتجسد فى جسم فراشة شاعرة ترتع بين أغصان القدود ووردات الخدود . وهل القدود مما تنبت الايكة والخدود مما تتفتح عنه خميلة الورد ؟

قلت دهشاً : أين يذهب بك ياصاح ؟ ان هى إلا استعارة بديعة يلجأ اليها الأدباء حين يشبهون اعتدال القد بالغصن وحمرة الخد بالورد . قال : ان أصحابك يسيئون الى الخدود الموردة والقدود المتأودة حين يشبهون الأولى بالورد والأخرى بالغصن . الغصن جميل والورد فتان ولكن جمالها مادى لا يقاس الى جمال خد العذراء حين يتورد وقوام الحسناء حين يتأود .

وأمامى الآن — وهنا أشار الى لوحته — منظر فتاة حسناء تقطف من خميلة ورداً زاهية حمراء . فأيهما أجمل وأنضر وأحلى وأملح ؟ هذه الورود فى يديها أم هذه الحمرة فى خديها ؟ . ان حمرة خديها الملتهبين بدماء النضارة والصبا حرام أن تشبه بحمرة الورد . فليس فى الورد خدود تلتهب التهاباً ، ولا وجنات ترف نضارة وشباباً . وكيف يستوى خد الورد البارد الجامد الذى لا يحرك احساساً ولا يثير عاطفة ، وخد الفتاة المضرم من نار الصبى ، المتوهج من حرارة العاطفة ، المشبوب من خمرة الروح ، المطلول من ندى الشهوة . يثير فى كل قلب ألواناً من المشاعر الراقدة ، وضروباً من الأحاسيس الهامدة ؟

وعيون النرجس على ما بها من جمال وتناسق بليدة جامدة فليس فيها هدب طويل يثير ، ولا جفن كحيل يغرى . وأين من مقل النرجس «مغناطيس» العيون «وكهربائها» وسحرها واغرائها ؟

الجمال بسره الكامن وجوهره الرمزى انما هو فن الروح والعاطفة ، فكيف تعبر عنه وردة محمارة أو غصن أملود أو طاقة نرجس أو سبيكة ذهب أو فضة مجلوة أو ما شئت من هذه التشابيه النفسية المادية التى خلقت لامتاع النظر اللهيف وإرضاء الحاسة الرغيبة ؟ أما تمثيل الجمال وتصوير الحلاوة ففن تلعب فيه الروح أهم دور وأخطره ، وليست كل هذه التشابيه من فن الروح فى مراح ولا مغدى . قلت : ولكن الجاحظ يقول فى صفة جارية حسناء «وكأنها طاقة نرجس أو كأنها ياسمينة أو كأنها خرطت من ياقوتة » ثم ينقطع به نفس الوصف فلا يجعل للروح وفنها بالا ولا ذكراً . قال صديقى ولكن ما عجز عنه الجاحظ من الوصف الروحى للجمال المادى أدركه نابغة كتاب هذا الجيل الرافعى . وشمك به من أديب يستعلن بالأدب العربى على آداب الأمم الراقية ويقول (أنا أدب لغة القرآن) .

ولقد لبثت زمناً أبتغى من الأدب العربى صوراً بيانية لوصف الجمال الانسانى تكون فى دقة تعبيرها كلوحات الزيت أو صور الفوتوغراف ، فلا أظفر منه إلا بهذه الاستعارات (الزهرية) أو التشابيه الجوهرية حتى قرأت للمرحوم كتبه الثلاثة فى فلسفة الحب والجمال فألقيت عصاى وآمنت بمعجزات الرافعى .

قال الاستاذ رحمه الله فى كتابه حديث القمر :

يا رحمة لهذا الجمال ! وجه وضىء الطلعة كأنه السعادة المقبلة يصل إليه دم الشباب من القلب فيتحول فيه إلى جمال وفتنة ، وكأن معانى الحسن التى تتحير فى خديه حقيقة إلهية تطل على النفوس من وراء الشفق . فيه عينان تنظران والله بروح تكاد تنطق ولا يفهم عنها إلا كأنها ناطقة . وتفيضان دلالا وتفتراً فكأنما تلقيان على الروح فترة تحلم فيها من أحلام السماء وتستيقظ . وخدان تحير فيهما الجمال فوقف يتلفت عن يمين وشمال ، وتراهما أسيلين بارزين ، فيالله ! هل هما ثديان صغيران من الورد يرضعان طفل الحب ؟ قال : صديقى فكم بين هذا الوصف الساحر الدقيق العاطفى وبين وصف صاحبك الجاحظ المادى السطحى «وكأنها طاقة نرجس وكأنها ياسمينة» ؟ . إن هذه التشابيه على ما بها من جمال المادة والعطر واللون مادية لا ترسم حور العيون وسحر الجفون ولا تصور تواثب النهود والحياة الكامنة فى الخدود . أتدرى لماذا ؟ لأن لغة العواطف يا صاحبى غير لغة الورود ، وتمايل الأغصان لا يشبهه تأود القدود

«حلب» **كمال الحريرى**

أى أســبانيا!

للأديب حسين شوقى

أى اسبانيا! إنى لأذرف دمعة صادقة على نكبتك لأنك وطنى الثانى! ألم أقض طفولتى فى ربوعك أثناء الحرب العالمية حينما نفى إليك والدى؟

أى اسبانيا! أصحيح أن الموت والدمار نزلا بمدنك التى كانت رؤيتها بهجة للنفس ومتعة للنظر؟

أى اسبانيا! أصحيح أن المرء يستنشق رائحة البارود البغيضة من حقول بلنسية حيث كانت تعبق رائحة البرتقال؟

أصحيح أن يد الدمار قد امتدت إلى غرف الحمراء حيث مرحت الأميرات العربيات فى شباب الدهر، بين أحضان الترف والنعيم؟

أصحيح أن كنائسك الفخمة قد أحرقت أو تهدمت، وكانت مقصد النبيلات الاسبانيات — أيام فتوح شارل الخامس وفليب الثانى — للتضرع والصلاة، كى ترد إليهن أزواجهن من الحرب سالمين مظفرين؟..

أى اسبانيا! أصحيح أن قومك الذين كانوا بالأمس مضرب الأمثال فى اللطف والدعة وإكرام الضيف والترحيب بالغريب جن جنونهم بغتة، كأنهم أصيبوا بداء الصرع، فأخذوا يقتلون يمنة ويسرة؟

أصحيح أن قلوبهم غاظت إلى حد أنهم يقطعون أيدى الحسان الناعمة كى يسلبوها حليها، تلك الأيدى التى ما خلقت إلا للتدليل والتقبيل؟

أصحيح أنهم سئموا مصارعة الثيران فاستبدلوا بها الأنفس البشرية؟

أى اسبانيا! أين كانت كامنة هذه القسوة؟

بل من أين هبطت عليك؟

إن بعض الكتاب الغربيين ينسبها إلى الدم العربى الذى يجرى فى عروق الاسبان اليوم، ولكن الله يشهد أن هذا الدم برىء، لأنه دم أموى نبيل! إن أسلافنا العرب الذين استوطنوا الأندلس كانوا أبطالا ولم يكونوا أنذالا، انهم لم يقتلوا العجزة والأطفال والنساء!

بل إن العرب فقدوا ثمار فتوحهم العظيمة بما كانوا يبدون من الحلم المتناهى إزاء الشعوب المغلوبة! ألم يتركوا لها حرية العقائد والعادات، مكتفين بأخذ الجزية؟

إذن ما مصدر هذه القسوة؟

إن «أنامونو» الفيلسوف الاسبانى الشهير الذى توفى أخيراً ينسبها إلى دم النور (بفتح الواو) المنتشرين بكثرة فى ربوع أسبانيا، وبخاصة فى الجنوب، لأن هؤلاء القوم لهم - على حد زعمه - غرائز بعيدة عن المجتمع، بل وحشية. ومما يؤيد قوله هذا ما حدث فى برشلونة من أعمال القتل والحرق والسلب فقد قام بمعظمها عمال من الجنوب لم يستوطنوا برشلونة إلا فى السنوات الأخيرة...

أى اسبانيا! أصحيح أن حسانك قد مللن أقنعة رءوسهن الجميلة من «الدانتلا» والمعروف «بالمانتليا» ففضلن عليها خوذة الجند الحديدية؟

أصحيح أنهن حطمن بأيديهن تماثيل العذراء التى طالما توسلن إليها كى ترقق لهن قلب العاشق النافر؟

أصحيح أنهن أصبحن يقتلن بالحديد والنار بعد ما قتلن زمنا بسهام اللواحظ وحد الجفون؟

أصحيح أنهن سئمن أناشيد الحب فأخذن يحرضن خطابهن الرشيقين ذوى العيون العربية البراقة على الذهاب إلى ساحات الموت؟

أى اسبانيا! أصحيح أن قومك يهدمون مآثر ماضيهم المجيد بزعم التقدم والرقى؟

رب! كيف تمحى قرون متتابعة من العز والفخار؟ هل من المدنية أن تدفن المتاحف وتنسف الآثار؟

ألا ينظرون إلى حسرة أبناء العالم الجديد لافتقارهم إلى الآثار وهم قدوة المدنية والتقدم؟

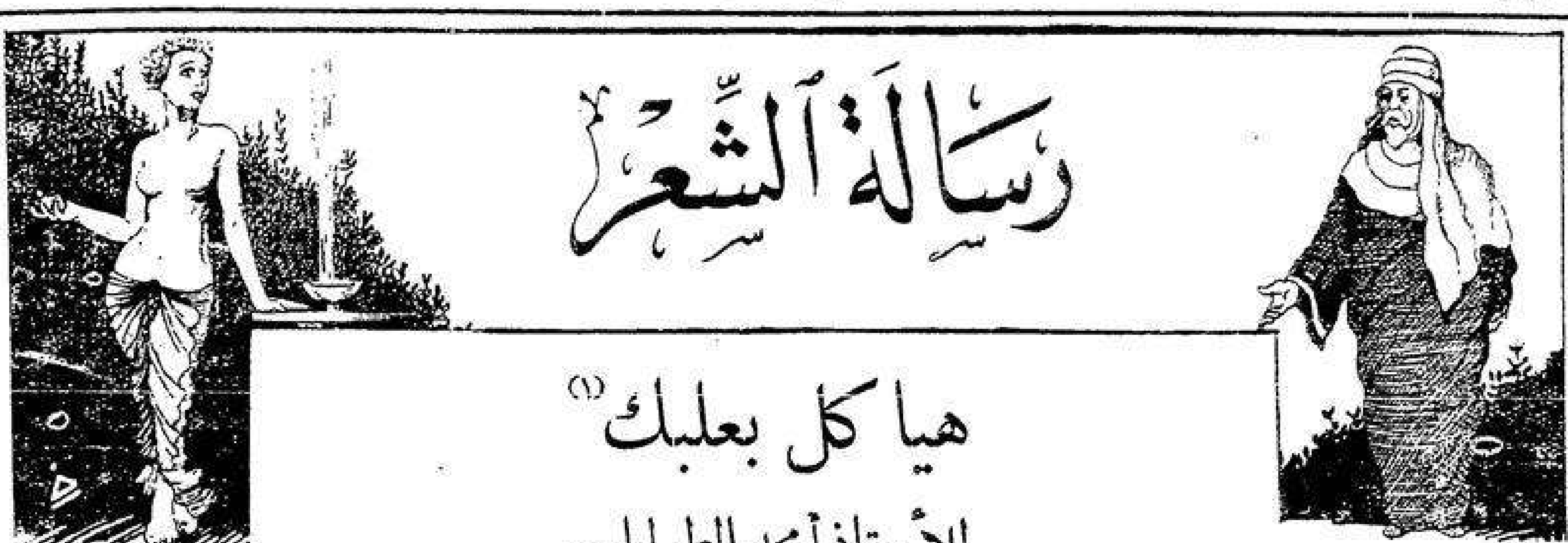
ألا يرون كيف ينقل هؤلاء القوم الكنائس والقصور الأثرية من أوروبا، حجراً حجراً، لاعادة تركيبها فى بلادهم، رغم ما يكلفهم عملهم هذا من جهد ومال؟

أى سرفانتس (1)! هلا تركت ضجعتك الهنيئة الأبدية لحظة لتشاهد مقدار عبث قومك؟

أى سرفانتس! إن صاحبك «دون كيخوت» لأقل جنونا من هؤلاء القوم جميعا إذ جنونه برىء لا يتعدى مهاجمة الخراف والطواحين، أما هؤلاء فلا يهدأ لهم بال إلا بقتل الأطفال والنساء والاخوان من بنى جلدتهم!

«كرمة ابن هانئ» — حسين شوقى

(1) مؤلف قصة «دون كيخوت» الخالدة



هيا كل بعلبك (١)

للأستاذ أمجد الطرابلسي

وأجلّ من حللِ الغنيّ ووشيه   يخرَق على الأبطالِ أو أسمال

أطلالُ! ما البنيانُ يا أطلالُ؟   فَنِيَتْ على ضُحَاتِكِ الأجيالُ!
هَزِئَتْ رمامُكِ بالزمانِ وصرفهِ   ما تفعلُ النكباتُ والأهوالُ؟
يفنى الزمان جديدُهُ وجميلُهُ   وعلى حطامِكِ بَسْمَةٌ وجمالُ
إنّ الخلود يَفِرُّ من سطواتهِ   عادى الردى وتَبَاعَدُ الآجالُ
لا يَقْحَمُ النَّكسُ المُرَوَّعُ غابةً   تختال فى جنباتها الأشبالُ

* * *

يا غادةَ الماضى البعيد تَبَخْتَرى!   إنّ العصورَ هوادِجٌ وحِجال
تيهى على الدنيا فإنكِ أختها   والسّحْرُ بينكما الزمانَ سِجال
وتخايلى مِلْءَ العيون، مليكةً   تعنو لها الأملاكُ والأقيال
فَلَصَوْلجانُكِ يا مليكةُ صفعةٌ   يخزى بها المتكبر المختال
هاتى حديثَكِ بعلبكُّ أو اصمتى!   إنّ الزمان محدِّثٌ قوّال
تتكلم الآبادُ فيكِ مبينةً   وتخبرُ الأعصارُ والأجيالُ
هذى الرسومُ وهى الزمانُ وما وهتْ   وقضى البُناةُ الظالمون ودالوا
ما زال يدهمها الزلازل بعدهم   حتى ارتضى بالخَيْبَةِ الزلزال
ماذا يضيركِ أنْ وَهَتْ وتمايلتْ   عَمَدٌ ودالتْ دولةٌ ورجال
إن الخلود على جبينكِ مشرقٌ   ونصيبُكِ التقديسُ والإجلالُ
وأجلُّ من حُلَلِ الغنيّ وَوَشْيهِ   خِرَقٌ على الأبطال أو أسمال!

* * *

يا بعلبكُّ! وقفتُ فيكِ كأنّنى   وصَحَابتى بينَ الطلولِ رِمالُ
نرنو إلى الرِّئبالِ وهو من الصفا   فيكادُ يُفْزِعنا بكِ الرئبالُ
ونحدِّثُ الأطلالَ وهى طريحةٌ   فتكادُ تنطقُ مثلَنا الأطلالُ
تتسلَّقُ العَمَدَ المنيفةَ مثلما   تتسلّق الصَّخرَ الأشمَّ نِمالُ
فنُطلُّ منها فوق سفرٍ زاخرٍ   أسطارُه الأعصارُ لا الأقوال
نتلو صحائفَهُ وملء برودنا   عُجْبُ العجيبِ، وفيمَ لا نختال؟
أقدامنا فوقَ الزمان قريرةٌ   ولنا الهيا كِلُ والبعولُ نِعالُ
نختالُ فى ذُرُواتِها فتَسُبُّنا   عُصُرٌ تكنّفها الظلامُ طوالُ
يا أيُّها العاتون! بعض عُتُوِّكم   إن الزمانَ مخادعٌ ختّال!
أرأيتمُ لَعِبَ الصّروفِ وهدمَها   ما يرفعُ الإرهاقُ والإذلال؟
هذى النِّعالُ تدوسُ وهى فخورةٌ   ما شادتِ الأصفادُ والأغلال!
تلكَ الأوابدُ كم أهلّ لها دَمٌ   وسقى ثراها مَدْمَعٌ هَطّالُ
كم ذلّتِ الأملاكُ فى أعتابها   وجثَتْ على أقدامِها الأبطالُ
واليومَ نمرحُ نحنُ فى هاماتِها   يا للمَشيب تُهينُهُ الأطفالُ!
يا للفنونِ الخالداتِ تدوسُها   وتُذِلها المُجّانُ والجُهّالُ!

* * *

عفواً هيا كِلَ بعلبكَّ! فإنما   هذا الزمانُ وصَرْفُهُ أحوالُ
صبراً على عبثِ الزمان! فربما   رقصت على جُثثِ الأسودِ سخال
كنّا نجوسُكِ ساخرين وربما   أقعى لكِ الجبّارُ والصوّالُ

* * *

---

(١) من أروع وأضخم الآثار الرومانية. بنيت فى القرن الميلادى الثانى. وهو ثلاثة هيا كل عظيمة للآلهة الثلاثة (جوبتير) و (باخوس) و (فينوس).

كم ذلّتِ الأدغالُ بعدَ ليوثِها ... ولقد تُهابُ لأسدِها الأدغالُ

* * *

جو بتيرُ! أين جبابرٌ لك شيدوا ... ما لا يزول على الزمان و زالوا؟

بذلت لهيكلك الرفيع نفوسهم ... ودماؤهم، وأُهينتِ الأموالُ

أرضيتَ أن تُبنى القصورُ من الأذى

لك أو يخضَّبَ بالدم التمثالُ

عبدوكَ فاستعبدتَهم، وتمزّقت ... في ظلّكَ العبدانُ والعمّالُ

تلك العبوديّاتُ من آثارها ... هذي الصروحُ كأنها الأجبالُ

نحتت بأصفادِ العبيد صخورُها ... وعلى العُناةِ أقيمتِ الأثقالُ

لا كنتِ يا آثارُ! إنكِ طعنةٌ ... في كلّ قلبِ شاعرٍ ونصالُ

* * *

عبدوا بكِ الشمسَ المنيرةَ في الضحى

والشمسُ خيرٌ كلُّها وجمالُ

خشعتْ لها منذُ القديمِ معاشرٌ ... شغفتهمُ الأنوارُ والأظلالُ

فلئن يعبكِ الناسُ أو يستهزئوا ... فاليومَ معبودُ الأنامِ المالُ

كم تُحرقُ الأبناءُ قرباناً له ... وتذبّحُ الأعمامُ والأخوالُ

أغلى من الخُلُقِ المكرّمِ درهمٌ ... وأجلُّ من أعلى العُلى مثقالُ

* * *

(باخوس) يا ربَّ الكؤوسِ! وكم عنا

لمجونكَ المُتزمّتُ المفضالُ

هذي الكروم تكادُ وهي نحيتةٌ ... يُصبي العقولَ رحيقُها السلسالُ

ياليتَ شعري أهلوك فهل رأوا ... كيف استبدّتْ خمرُك الجريالُ

شادوا لكَ الصرحَ الأشمَّ تجلّةً ... وجثا لكَ النسّاكُ والضُلّالُ

وبنوا لفينوسٍ جوارَك معبداً ... يختالُ فيه الحُسنُ والإدلالُ

صوَرُ الهوى المعسولِ ملءُ رحابهِ ... والجوُّ حبٌّ كلُّه ووِصالُ

يا أمّةَ الرومانِ! مازالَ الورى ... يَسْبيه كوبٌ مترعٌ ودلالُ

في كلِّ قلبٍ للمحاسنِ معبدٌ ... تأوي الجراحُ إليهِ والآمالُ

لكنما ذهبتْ ملوكُكِ في الهوى ... سيَراً تُدارُ كؤوسُها وتُجالُ

(أنطونيو) ملءُ الخمائلِ حبُّهُ ... و (سِزار) كم ضُربتْ به الأمثالُ

مَلِكان صاغهما الغرامُ قصائداً ... تشدو بها الأسحارُ والآصالُ

* * *

بنتَ الخلودِ أما سئمتِ جراحَه؟ ... إنّ الخلودَ سآمةٌ ومَلالُ!

إني لأسمعُ من صفاكِ صُراخَهُ ... وكأنّه التَنعابُ والإعوالُ

ماذا عرفتِ من الحياةِ، وإنما ... سرُّ الحياةِ تعاقبٌ وزوالُ؟!

ويلٌ لمفجوعٍ يرى أحبابَهُ ... يترحّلون وماله ترحالُ!!

تتتابعُ من بعدهمْ أطيافُهمْ ... والذكرياتُ عواصفٌ ونبالُ

أوَ تذكرينَ (أباعبيدة) غازياً ... من حولهِ الفرسانُ والنُبّالُ؟

تتبخترُ الجُردُ الضوامرُ تحتهمْ ... نشوى يُصعّرُ جيدَها الإدلالُ

تزهو على الأرضِ الفخورِ بحملها ... عزّتْ وعزّتْ فوقها الأحمالُ!

ركبٌ تحفُّ به الملائكُ هُتّفاً ... وتحوطُهُ بقلوبها الأجيالُ

أرأيتِ أشرفَ فاتحاً سارَ الهدى ... في ركبهِ واليمنُ والإقبالُ؟

أعلمتِ...؟ مالي والسؤالِ فربما ... نكأ الجراحَ الداملاتِ سؤالُ!!

أمجد الطرابلسي

الى عصفورة

للأستاذ خليل هنداوي

حلّق، حلّق! لك الجو مهد ... والسموات، والمنى كالشهاب

رجعي ما أردت شدوكِ حتى ... يسكر الكون بالغناء المذاب

أنا لا أستطيع يوماً صعوداً ... وجناحي مهشم الأسباب

أنا طير يدري السماء ويدري

ما يواري السحاب خلف السحاب

كلما هم لم يطعه جناح ... أوهنت عزمه رياح الرغاب

كمحب سار الركاب بمن يهـ ... ـوى، ولكن هواه عند الركاب

أنا كالزهر أملأ الجو عطراً ... وجذوري تعلقت بالتراب.



هلموا يا شباب!

كأن كلمة الشباب مقصورة الدلالة على الطلاب . وكأن الذين هم فى ربيع العمر من الموظفين والمحامين والأطباء والملاك لا يعنيهم الأمر إذا وجهت دعوة إلى الشباب . فقد دعت الرسالة الشباب إلى أن يديروا بينهم الرأى فيما يهيء الأمة إلى العهد الجديد من توفير سلامة الجسم وتقريب وسائل الثقافة وترقية أساليب الانتاج وتكوين رأى عام صحيح صريح يتشاور فى بناء الهيكل القومى على أساس الخلق والدين والعلم والتعاون ، ويتجاوب فى كل حادث بالصوت المتحد الذى ينبه الغافل ويحذر المغتر ويكون سياجا للأمة من جمحات الأهواء وطغيان النفوس . تحرك لهذه الدعوة الطيبة كرام الطلاب ثم شغلهم الاستعداد للامتحانات عن توسيع المناقشة فيها ودراسة الوسائل إليها ، وانتظرنا من غيرهم أن يلجوا هذا الميدان الاصلاحى ، أو يعملوا على تزويد الداخلين فيه ، فلم نسمع صوتاً ولم نشعر بحركة ، كأن أصحاب الوظائف وأرباب الأعمال يظنون أن واجبهم ينتهى عند عتبة الديوان ، وأملهم يقف على باب المكتب ؛ أما العمل التعاونى القومى فأمره بين شيوخ الحكومة وشباب الجامعة .

أنا أحد الذين حددت آمالهم وأعمالهم الوظيفة ، ولكنى أشعر أن الانسان المثقف والوطنى الصادق لا يسمح لنفسه أن يمثل فى يقظة أمته فتور النعسان أو جمود الكسلان فيكتفى بقراءة الصحف فى القهوة ومناقشة الأخبار فى الطريق . المسألة مسألة تجنيد عام لمحاربة عوامل الضعف التى فشت فينا من تغير الزمان وفساد الحكم ، فيجب أن يؤدى كل منا واجبه الوطنى فى الميدان الذى يستطيعه . والموظفون وهم ألصق الناس بالجمهور يستطيعون أن يؤدوا واجبهم على الوجه الأكمل فيرشدون الجاهل ، ويعاونون المتعلم ، ويضربون للناس الأمثال فى إخلاص العمل وتقدير المسئولية وسلامة الضمير ومراعاة المصلحة . والذين يتصلون منهم بالفلاحين من أطباء ومهندسين ومعلمين يتسع أمامهم مجال الاصلاح فيكونون رسل سلام ودعاة خير وناشرى ثقافة ، فإلى إخوانى الشباب من الموظفين أوجه هذه الكلمة وأرجو أن يكون لها صدى فى نقاباتنا وأنديتنا ومكاتبنا ، يبلغ كل أذن ويهز كل قلب فنجيب دعوة الداعين ونعمل مع العاملين .

على اسماعيل
بالمالية

حول توجيه الشباب

إن أول واجب أشعر به هو تقديم وافر الشكر لصاحب الرسالة ومحرر رسالة الشباب فيها ، وكل من ساهم ويساهم فى تأدية هاته الرسالة السامية التى اضطلعت بأعبائها الثقال هذه المجلة المحبوبة الى جانب رسالة الأدب والعلم والفن التى قامت بتأديتها خير قيام . ونحن شديدو الايمان بأن نصيبها من التوفيق فى تأدية رسالة الشباب لن يكون أقل منه فى غيرها إن شاء الله

ولقد استرعى انتباهى — بصفة خاصة — هاته الكلمة التى ختم بها محرر رسالة الشباب صفحته فى عدد سابق وكان عنوانها : « عبرة الشباب من حفلة التتويج » . وإنى وإن كنت من كارهى الحديث المعاد أشعر بدافع قوى يحملنى على أن أعيد مغزاها على إخوانى الشباب لا ليمتعوا أنفسهم بسلاسة أسلوبها أو جمال شاعريتها أو غير ذلك من ضروب الاستمتاع . بل ليجعلوها منهاجهم فى كل عمل من أعمال الحياة

ذلك المغزى أو العبرة ، كما أرادها المحرر — والتى أريدها نبراسا للشباب هى : أن الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس لم يمنعها احتفاظها بالتقاليد من أن تكون أمة التجديد ، واحترامها للدين من أن تكون أمة المدنية ، وإخلاصها للملك من أن تكون أمة البرلمان والديموقراطية والدستور

فأى عبرة هذه ؟ بل أى عبر يمكن لشبابنا المثقف أن

يتلقنها من حفلة تتويج ملك الإنجليز ؟ وأى توجيه هذا الذى يناديه به أستاذنا عميد كلية الآداب لشباب مصر بعد ماسمع بأخبار حفلة التتويج ، وفهم منها مافهم من محافظة الإنجليز على تقاليدهم واحترامهم لدينهم الذى هو مصدر الروحانية عندهم كما أن ديننا يجب أن يكون مصدر روحانيتنا ؟

وحتى هـذا المقال الأخير الذى قرأته لعميدنا الكبير فى إحدى مجلاتنا تحت عنوان : « توجيه الشباب أيضا » كنت أحس فى مطالعته بارتياح عميق بل باغتباط لا شائبة فيـه . ولكنى لم أكد أتصفح هـذا المقال وأكرر ذلك — عادتى فى كل ما يكتبه كبار أدبائنا — حتى وجدت لسانى يتطاول — على الرغم منى — باتهام عميد الأدب بعدم توفيقه المرة فى معالجة شئون الشباب . فليسمح لى سيدى الدكتور بهذه اللهجة الجافة التى لم أجد خيراً منها لمناقشة رسالته . فهى الصراحة لا تعرف المجاملة والحق لا يقوم على المداهنة .

ينادى عميد الأدب بأن يتجرد شباب مصر من روحانية الشرق التى هى لباب دينه ، ليتجه بفكره صوب مادية الغرب ليغترف من تعاليمها الخير كل الخير على مايقول ، فأى خير هذا الذى وجدته ياسيدى فى مادية الغرب التى تحبها ، وتؤمن بها وتنتظر منها الخير الكثير وقد فقدته فى روحانية الشرق ؟

أهذه المبادىء والمذاهب الخاطئة التى ينادى بها زعماء الغرب والتى تسير بأوربا نحو الهلاك السريع والتى بنيت على حب المادة والعمل للمادة وحدها؟ أم هذه النزعات والميول المتطرفة التى قلبت رسالة الانسانية السامية إلى رسالة بهيمية وضيعة والتى سوف يجنى الغرب ثمارها المرة الشائكة إن عاجلا وإن آجلا ؟ أم هذا وذاك من مساخر الغرب ومساوىء ماديته ؟

إن أحداً لا ينكر سير الغرب بخطى واسعة نحو الرقى والحضارة المزعومة فى هذا العصر . ولكنى كبير الشك فى أن هذه الحضارة التى سخرت للمادة وقامت على دعائم خالصة من المادية - تعمر أو تطول . وليست هذه الأحداث والمهازل - التى يعج بها المجتمع الغربى ، ويستصرخ المصلحين لانقاذه منها - إلا إحدى نتائج هذا الاتجاه المادى الصرف

أما الحضارة الحق التى يؤمل من ورائها الخير ، وينتظر لها البقاء ، ويجب علينا أن ننير سبيل شبابنا اليها فهى تلك التى تأخذ ضرورتها من المادة إلى جانب حاجتها من الروح . وما تذوق الحياة جسد من غير روح . وهذه سنة الله فى خلقه أنطق بها رسوله الأمين حيث قال : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

وعندى أن هذا الحديث الشريف هو جماع دستور الفرد الذى ينشد الكمال من المجتمع الذى يرجو الصلاح . وتلك الامبراطورية الاسلامية - التى بلغت حدود الهند والسند شرقا والاطلنطيق غرباً - قامت على أسس من الروحانية الشرقية التى ينكرها الدكتور ولا يرى فيها أى خير ...

كامل بركات

من رسالة

... أما إن الشباب سيظل زيت النهضة المضىء المحترق فهذا مما لا شك فيه

سلخنا من العمر ثمانية عشر عاماً هى ربيعه فى نهضة شريفة سامية طامحة جامحة جريئة رزينة - نقنع بالحجة ونغرى بالعاطفة ونلهم الشعور ونحرك القلوب - فعزيز علينا ثم عزيز أن نسلم علم الجهاد وقد دافعنا عنه بالمهج والأرواح ، فالى الأمام نسير فى كل فن وعلم بتجاريب السنين الماضية ، أما الميدان السياسى فلن يضيق عن الجهود الوثابة التى اكتسبت من المحن خبرة ومن الشدائد عظة ، وقد كان لنا فضل السبق فى الاصلاح وها هو ذا بنك مصر لا يزال شاهداً بما كان للشباب من قوة أثر فى تعميره . بل إن طربوش القرش هو غرس يد الشباب

فمن يوم أن قام الشباب قومته إلى الآن لا نجد أثراً عمرانياً أو أدبياً أو سياسياً إلا لمست فيه يد الشباب حادة قوية

وما زال كل فى طريقه شجاعاً فى غير عنف ، فخوراً فى غير زهو ، جريئاً يقول الحق ولا يهاب فيه الموت . وتلك كلها صفات اكتسبت من تعاليم سعد ، وتغلغل أثر النهضة فى نفوس تعطشت إلى الحرية فنالتها من يوم أن طلبتها



تقدير صحيفة ألمانية لأمة سامية

استقبلت مصر حين دخولها فى عصبة الأمم فى أواخر مايو الماضى بتحية اجماعية مؤثرة من اثنتين وأربعين دولة بينهما اثنتان من الدول العظمى؛ وكان التقدير الذى لقيته مصر يقوم بالأخص على التنويه بمكانتها التاريخية، وعلى الدور العظيم الذى أدته فى تكوين الحضارة اليونانية القديمة؛ ومن ثم فى تكوين الحضارة الغربية بوجه عام؛ ولم تكن هذه المظاهرة الاجماعية المؤثرة حديثاً أفلاطونياً فقط، ولكنها كانت إشارة بحقيقة تاريخية يستحيل على أوربا الحديثة تجاهلها، وفى الأسبوع الماضى نشرت جريدة «الأسبوع» الألمانية Die Woche عدة صفحات خاصة بمصر وحضارتها القديمة، ثم استأنفت فى عددها الصادر هذا الأسبوع فكتبت عدة صفحات أخرى واستطردت فيها إلى الاشادة بما لمصر من فضل على المدنية وما يرجى لها من مستقبل باهر، وهذه أول مرة فى عهد ألمانيا النازية تقوم الصحف الألمانية بمثل هذه الاشادة بمقام أمة شرقية «سامية»، ولقد كان علماء الآثار الألمان فى مقدمة علماء الغرب الذين عاونوا على اكتشاف الحضارة الفرعونية وعلى إظهار الدور العظيم الذى قام به الفراعنة فى تكوين حضارة العالم، فلم تكن هذه الحقيقة بخافية يوما على العلم الألمانى. ولكن حدث بعد ذلك أن اجتاحت الدعوة الهتلرية العلم الألمانى كما اجتاحت كل شىء فى حياة هذه الأمة العظيمة، وذاعت نظريات هتلر عن الشعوب الشرقية والشعوب السامية بوجه خاص

فهذه الشعوب فى نظر زعيم ألمانيا الجديدة، شعوب منحطة، هدامة للحضارة، غير أهل لانشائها. ومصر أمة سامية شرقية، فهى طبقاً لإنجيل ألمانيا الجديد أمة منحطة هدامة للحضارة، لاتستحق أن ترتفع إلى مصاف الأمم «الآرية»، وهى الشعوب التى يحق لها أن تستعبد الشعوب السامية وأن تخضعها لثقافتها. ولقد اعتبرت مصر فى ألمانيا بعد ذلك بصفة رسمية دولة غير آرية لايصح لأبنائها أن يختلطوا بالعنصر الآرى، وكان لذلك فيما نذكر ضجة فى العام الماضى. فهل نعتبر إقدام صحيفة ألمانية كبيرة على التنويه بحضارة أمة «سامية» كمصر دليلا على تطور هذه النظرية النازية المجحفة؟ إن الصحافة الألمانية تخضع فى كل ما تكتب لرقابة حكومية صارمة؛ فاذا كان يسمح لها الآن أن تنوه بمركز أمة «غير آرية» فى إنشاء الحضارة العالمية، فانه يسمح لنا أن نعتقد أن التفكير الألمانى قد أخذ يتحرر من بعض النظريات المفرقة التى أذاعها كتاب «كفاحى»، وهى نظريات ليس لها فى الغالب سند من التاريخ الحق أو التدليل الصائب

كتاب عن تاليران

عرف تاليران الوزير الفرنسى الشهير بأنه نموذج للسياسى الداهية الذى لايعرف فى سبيل تحقيق سياسته مبدأ ولا ذماماً، وأضحى اسمه علما على السياسة القادرة المتقلبة، بيد أن للتاريخ دورته وتطوراته؛ فاذا كان التاريخ قد رأى فى تاليران من قبل

حرية بعنا لأجلها نفوساً عزيزة علينا، ودستوراً قاومنا فى سبيله كل من حدثته نفسه أن يكون عليه ظهيراً. وسنعرف باذن الله كيف نحيطه بسياج من الأخلاق متين، غير منتظرين الوحى من الغرب؛ فالديموقراطية الشرقية مستمدة من وحى الله ومن تعاليم الأنبياء، فالمشورة كانت من صفات النبى صلى الله عليه وسلم؛ وما كان مستبداً حتى فى إبان الحروب التى تتخذها الأمم الغربية كلها ذريعة لاعلان الأحكام العرفية. وإن كان بعض مشرعى الغرب يحذرون شعوبهم من اندفاع جارف يؤدى بهم إلى الفاشستية أو الشيوعية، فانا لا نزال بحمد الله بعيدين عن كل ذلك، فان التأنى البصير خير من الاندفاع الأعمى، وان دستوراً راسخاً متين البنيان لذو أثر عظيم فى تشييد صرح النهضة. فليطمئن الشيوخ، فلن يجدوا إلا شباباً مجرباً وثاباً دمه الحار بمثابة وقود لعقله المتزن

م . س سليمان

سياسيا غادراً متقلبا ، فقد يرى فيه اليوم رأيا آخر . وهذا الرأى الجديد عن شخصية تاليران وعن سياسته يقدمه إلينا وزير انكليزى هو مستر دوف كوبر فى بحث تاريخى جليل صدر أخيراً بعنوان «تاليران» Talleyrand والواقع أن حياة تاليران العجيبة تستحق الدرس ؛ فقد خرج من الكنيسة إلى السياسة ، وخدم لويس الخامس عشر ، فلويس السادس عشر ، فالمؤتمر الوطنى والثورة الفرنسية ، فنابليون بونابرت فى جميع أطوار حكمه ، ثم لويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، وأخيرا لويس فيليب ؛ وهكذا وضع تاليران مواهبه تحت تصرف أنظمة وحكومات مختلفة ؛ ولم يحجم فى أى ظرف عن أن يتخلى عن حكومة أفل نجمها لتاييد حكومة جديدة ، ولم ير بأسا من أن يخون عرشا على وشك السقوط لخدمة عرش تألق نجمه ؛ فهذا التقلب الغادر هو الذى ياخذه المؤرخون الفرنسيون على تاليران ، ويرون فيه سفالة أخلاقية لاتغتفر ؛ ولكن الوزير الانكليزى يرى فى كتابه الجديد رأيا آخر ؛ فهو يرى أن تاليران كان مثل السياسى العملى البارع ؛ وهو يقدم لنا عنه هذه الصورة القوية : «إن للفرنسيين ذاكرة بعيدة ؛ والسياسة فى نظرهم هى استمرار التاريخ ، والكتاب الفرنسيون ينتمون إلى مختلف الأحزاب والنحل : فهم ملكيون أو جمهوريون أو بوناپارتيون . أما تاليران فلم يخلص لناحية خاصة من هذه . ولهذا لم يحدقط مدافعاعنه فى فرنسا . ومع ذلك فليس للفرنسيين أن ينحوا عليه باللوم ؛ ذلك لأن كل تقلباته كانت تبذل فى سبيل فرنسا كلها ، وهو يصرح بحق أنه لم يتآمر قط إلا حينما يندمج معظم مواطنيه فى سلك المؤامرة . وقد هلل كباقى الفرنسيين لمثل الثورة الفرنسية واعتقد فى ضرورتها . ولكنه كباقى فرنسا سخط على حكم الارهاب وخدم الحكومة المؤقتة وناصر نابوليون كرسول النظام والسلم . بيد أنه كباقى فرنسا كان يبغض الظلم ، فلما سئم من الحروب عاد يسعى إلى إعادة البوربون . ولما رأى استحالة العمل مع شارل العاشر ، اتجه نحو لويس فيليب ، وقد كانت مثله التى لم يحد عنها قط الملكية الدستورية ، وتاييد النظام والحرية فى فرنسا ، والسلام فى أوربا ، والتحالف مع انكلترا »

وقد انتهى الوزير الانكليزى إلى هذا الرأى بعد البحث واستقراء الوثائق التاريخية الهامة ؛ وهو يستعرض كل أعمال تاليران وتقلباته ويشرحها على ضوء الحوادث والأشخاص ؛ وهو يجنح إلى العطف فى معظم تعليقاته ؛ ومن رأيه أن تاليران كان من أعظم الساسة الذين عرفهم العالم ، وأن تقلباته المزعومة لم تكن إلا نوعا من السياسة العملية التى يقدرها الانكليز قدرها ، وأنه كان يتمتع بصفات باهرة جعلت منه أقدر سياسى فى عصره .

ونحن إذا قلبنا صحف تاريخنا وجدنا لدينا قرين تاليران ؛ ذلك هو السياسى الفيلسوف ابن خلدون ؛ فهو أشبه الناس بتاليران فى خدمة الحكومات المختلفة ، وفى الأخذ بقواعد السياسة العملية ، وفى تقلباته مع الظافرين .

من نفائس أوراق البردى

تحتفظ مكتبة فينا الوطنية بمجموعة من أوراق البردى المصرية القديمة ، ومنها خمس أوراق ظهر من فحصها ودراستها أنها جزء من التوراة ، وأن هذه التوراة المخطوطة هى أقدم توراة وجدت حتى الآن . وقصة هذه التحفة الأثرية هى كقصة جميع التحف التى تتسرب من مصر إلى الخارج بانتظام ؛ وهى أنه فى سنة ١٩٣٠ اشترى بعضهم لحساب مكتبة (فينا) عدة من أوراق البردى من أحد تجار العاديات بالقاهرة ؛ ولما أظهر البحث أنها قسم من التوراة سئل التاجر المذكور عما إذا كان يمتلك أوراقا أخرى من هذا النوع فذكر أنه باع مجموعة أخرى منها إلى أحد اليهود المشهورين وهو مستر شستربيتى . ولم يمض على ذلك قليل حتى أذاعت الدوائر الأثرية فى لندن أنها قد حصلت على أقدم نسخة خطية فى العالم كله من العهد الجديد (الانجيل) ، وبه نص كامل لانجيل متى ، وأن هذه النسخة ترجع إلى منتصف القرن الثالث الميلادى . وتحتفظ فينا فى الوقت نفسه بأقدم قطعة من أوراق البردى اليونانية ، وبهذه الوثيقة نص كامل لقصة «فرار ارتميسيا» الشهيرة كذلك تحتفظ باقدم ورقة من أوراق البردى اللاتينية ، وهى وثيقة عسكرية ترجع إلى أيام الامبراطور أوغسطوس أعنى إلى القرن الأول من الميلاد غير أنه لاريب أن أوراق البردى المصرية القديمة من أثمن ماتحتفظ به العواصم الأوروبية المختلفة ، ومع أن مصر لا زالت تحتفظ منها بمجموعة ضخمة فان أثمن ما فيها قد تسرب اليوم إلى الدوائر الأثرية الأجنبية فى مختلف أنحاء العالم

المكاتب العامة فى فرنسا

قررت الحكومة الفرنسية تحقيقاً لأغراض سياستها الثقافية أن تعمل على تعميم المكاتب الشعبية بطرق وأساليب مغرية للقراءة والتثقيف . وقد رؤى أن تنظم هذه المكاتب فى المدن المكتظة بطريقة خاصة ، إذ تنشأ فى مواقع مزهرة منيرة ، وأن تعمل لها واجهات زجاجية تحلى بالصور والأزهار والتحف ، ثم تعرض فيها أحدث الكتب كما تفعل المكاتب التجارية ؛ والمقصود بذلك التوصل إلى إغراء المارة من عمال وعاملات وطلبة أنهكهم العمل أو الطواف بدخول المكتبة وتمضية لحظات فى القراءة أو تصفح الكتب والمجلات المصورة ، وسيعنى بان تعرض فى هذه المكاتب جميع الصحف والمجلات من كل لون ونزعة سياسية ، كما تعرض

الكتب العلمية والروايات وغيرها ليكون هناك مجال للجميع كل حسب ذوقه ونزعته، كذلك ستنشأ فى هذه المكتبات أجنحة خاصة للأطفال وتزود بطائفة من كتب الأحداث المصورة؛ بل واللعب والصور المختلفة.

المؤتمر الدولى لكتاب اللغة الفرنسية من الأجانب

افتتح يوم الثلاثاء الماضى فى باريس المؤتمر الدولى لكتاب اللغة الفرنسية من الأجانب فالقى الأستاذ جورج قطاوى الأديب المصرى خطبة جاء فيها:

فى مقدمة الكتاب المصريين باللغة الفرنسية واصف غالى باشا وزير الخارجية المصرية وقد شرفنا بحضور اجتماعنا هذا. وجميع المصريين يقدرون عمله السياسى حق قدره، فالاستقلال الذى أحرزته مصر ومكنها من دخول جامعة الأمم من عهد قريب مرجع الفضل فيه إلى الجهود الوطنية والتضحيات وهمة الذين جاهدوا إلى جانب سعد زغلول باشا وفى جملتهم واصف غالى لنيل الأمة المصرية مطالبها المشروعة. فالخطب التى ألقاها واصف غالى والنشرات التى أصدرها فى أثناء الثورة المصرية تكاد تكون صدى لصوت دانتون أحد أعلام الثورة الفرنسية الكبرى.

ومع اشتغال واصف غالى بالشئون السياسية لم يهمل حرفة الأدب والبحوث التاريخية وقرض الشعر، فان آثاره القلمية معدودة من محاسن النثر وعيون الشعر، وقد بين فيها أن الغرب والنصرانية اقتبسا كثيراً من الحضارة الاسلامية. وأحيا ذكر شياطين الشعر العربى القديم والقصة العربية، ولم يسبقه فى معالجة هذا الموضوع إلا المغفور له ثروت باشا أحد رؤساء الوزارة المصرية السابقين

وما من أديب فى مصر كلطفى السيد وطه حسين وأحمد ضيف ومنصور فهمى لم ينشر نبذا باللغة الفرنسية على هامش مؤلفاته العربية النفيسة. ولو شئنا الاسهاب فى هذا الموضوع لتمادى الكلام إلى مدى بعيد. وحسبنا أن نذكر أسماءهم. وأظن أن اسمى عدس وجوزيبو قنشى مستحقان أن يكونا فى رأس جدول أسماء الذين نكرمهم، فان كتابهما (جحا الساذج) قد بلغ بهما إلى أوج البلاغة، فقال عنه أوكتاف ميربو إنه لا يقل قيمة عن الكتب التى نسجت بردتها يراع ستندهال وفلوبير وتلستوى

وقال إنه لم يدرك حقيقة الشرق إلا حينما قرأ كتاب «جحا الساذج»

وكتب أحمد ضيف بالاشتراك مع فرنسوا بون جان قصة «منصور» وغيرها فوصف الأول محاسن الريف المصرى ومعيشة النوتية فى النيل ومرفأ الاسكندرية، واشترك معه بون جان فى وصف جامعة الأزهر

وفى جملة الذين عالجوا محاسن مصر القديمة التركية أحمد راسم فان نثره الشعرى يحكى بسلاسته وابتكاره ما نراه فى شعر فرنسيس جام. وفى كتابة أحمد راسم تكثر النكتة والتعابير الشعرية والأمثال العلمية. وقد عالج تحليل قصائد الشعراء المصريين باللغة الفرنسية، وسيتسنى لكم الاطلاع على تراجم هؤلاء الشعراء فى الديوان الذى يعده فى القاهرة المسيو روبرت بلوم الأديب الفرنسى الذى اختار مصر وطنا له

ومن المؤلفين الذين لا يذهل راسم عن الاشادة بهم أمامكم شاعر أريد أن أسبقه إلى التنويه به وهو محمد ذو الفقار فانه من أرق شعراء مصر وأحسنهم ديباجة، ولكنه ينفر من الظهور والتبجح، وهو علاوة على تفوقه فى الشعر يعد من المصورين البارعين. ويحب فى غالب الاحيان أن يستر عواطفه الحقيقية بنكتة لطيفة أو بتهكم لاذع. وقد قال عنه أحد النقاد:

«إن الكلمات العادية فى اللغة الفرنسية تتخذ إذا عالجها بقلمه طلاوة جديدة»

وأول من رفع الستار عن قصائد ذو الفقار وأعلنها للجمهور هو الكاتب المصرى جورج دومانى بك، ولم يكن قبل ذلك قد اطلع عليها إلا اخلصاؤه. أما جورج دومانى الذى استهوته السياسة والأعمال وشغلته عن عالم الأدب، فهو والحق يقال من أدق النقادين نظراً وألذعهم قلما. فالمواهب التى يسخرها لتخليد ذكرى بعض زملائه وإظهار عبقرية البعض الآخر، تدل على أن نزوعه إلى النقد لم يضعف فيه قوة الشاعرية

ومن عهد قريب صارت مصر تضيف إلى عداد شعرائها الذين ينظمون باللغة الفرنسية شاعرة جديدة هى السيدة قوت القلوب كريمة المغفور له عبد الرحيم الدمرداش باشا، فقد أصدرت رواية مطولة بعنوان «الحريم» أجادت فى إنشائها كل الاجادة ونظم لها الكتاب الفرنسيون عقود الثناء عليها

وإذا كانت الصداقة، الحقيقية وليدة اندغام بعض المتضادات والتقرب عن طريق المصاهرة فقد وجدت فرنسا ومصر لتتفاهما فعند طرفى حوض البحر الأبيض المتوسط لا تتخدش شواطئنا المتطرفة بخطوط منحرفة. وكأن شعبينا قد أعدا من الوجهتين الجغرافية والتاريخية لأن يكونا فى ملتقى الطرق حيث تتواجه وتندغم الحضارات المتضادة. فباريس فى الغرب تقوم بين العالم الجرمانى والعالم اللاتينى بمهمة تماثل المهمة التى تقوم بها الاسكندرية بين أسيا والعالم الافريقى. ونجد فى فرنسا كما نجد فى مصر الفلاح المتعلق بالأرض وحراثتها، فاليسر لم يجرده من الميل إلى العمل ولا التعلق بأهداب الحرية ولا السعى وراء الاقتصاد المحمود. وكان «بوسويه» يقول عن مصر الفرعونية: إن الأحوال الجوية المتساوية فيها دائماً تولى عقول أهلها متانة وثباتاً.



غريب القرآن

لمحمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٤٥٠ هـ
طبع المطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر

أنجزت المطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر طبع هذا الكتاب النفيس من تراثنا الأدبي بعد ما عهدت إلى الأستاذ الشيخ مصطفى عناني بك المفتش الأول بالمعاهد الدينية، تصحيحه وترقيمه، وضبط المهم من ألفاظه وتعليق حواشيه ومراجعته على أصوله؛ وقد اعتنى به ناشره عناية فائقة تناسب قيمة هذا الكتاب الجليل

ونحن نحب أن نعرف هذا الكتاب إلى جمهور المتأدبين من قراء الرسالة لينتفعوا به ويستفيدوا منه؛ فهذا كتاب وضعه واضعه ليعين قارىء القرآن وسامعه على أن يفهم ما يشاء من آياته على وجه السرعة، غير مستعين بما كتب المفسرون لأنه ينشد الفهم العاجل أو لأنه لا يتسع صدره لفضول الكلام الذي يملأ كتب التفسير في إسهاب عجيب. ونحن الآن نسمع القرآن يتلى في (الراديو) أو يقرأ في المساجد والمآتم والبيوت، فنستمع إلى هذا الجرس الجميل في كتاب الله ونتابعه بأذن واعية وفكر يقظ وقلب مشوق؛ ثم يضايقنا أحياناً أن يقف الفكر عند آية أو كلمة من آية لا نستطيع أن نفهمها لطول العهد بما قرأنا من كتب التفسير، أو لبعدها عن محيطنا اللغوي؛ في مثل هذه الحالة يعيننا كتاب (غريب القرآن) فيفسر لنا الكلمة الغريبة عنا في بساطة ووضوح تعيننا على فهم الآية كلها وتصل بين ما نسمع من آي الذكر الحكيم

على أنه مع ذلك قاموس صغير يعين اللغوي والكاتب والشاعر بما اجتمع فيه من كلمات قد لا نجدها فيما بين أيدينا من معاجم اللغة. ثم هو مرتب ترتيباً أبجدياً يدل على موضع الكلمة منه بسهولة وبغير كبير عناء.

لهذه الأسباب كان طبع هذا الكتاب خدمة كبرى أسديت إلى العربية يستحق ناشره من أجلها الشكر الجزيل

وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب، وكانت طبعته الأولى منذ خمس عشرة سنة؛ على أن مالقيه الكتاب من رواج، وتقدير الأدباء والمتأدبين لقيمته العلمية والأدبية، قد حدا ببعض المرتزقة من تجار الكتب أن يعيدوا طبعه من غير إذن ناشره، فكان على عملهم طابع السرقة ودليلها، فجاء مطبوعهم مغلوطاً ناقصاً مشوهاً يسيء إلى الكتاب وقارئه أكثر مما يسيء إلى ناشره

ولكن هذه الطبعة الجديدة بضبطها وتحقيقها والعناية بها قد أنستنا هذه السيئة التي أقدم عليها طابعه المغتصب، وردت إلى الكتاب قيمته العلمية الجليلة.

س

شرح الايضاح

تأليف الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي

أتمت المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر طبع الجزء الرابع من شرح الايضاح في علوم البلاغة للأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي، فتم به شرح كتاب الايضاح للخطيب القزويني، وهو الكتاب الذي جمع فيه بين طريقة الامام عبد القاهر الجرجاني، وطريقة الشيخ أبي يعقوب السكاكي، بعد أن هذب الطريقتين، وأبدع في ترتيب مسائل علوم البلاغة، فاستقام له بهذا طريقة ثالثة بلغ من حسنها أنها لا تزال قدوة المؤلفين في علوم البلاغة إلى يومنا هذا

وقد شرح الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي في هذا الجزء علم البديع من كتاب الايضاح، وسار فيه على طريقته في الأجزاء الثلاثة قبله؛ لا يعنى إلا بشرح ما يهم من المسائل التي تكون من صميم هذه العلوم. فاذا فرغ من شرح المسألة عني بشرح شواهدها وتكميلها وإيراد شواهد أخرى لها، وضرب بما سوى هذا عرض الحائط، وهو ما لا تزال المعاهد الدينية تشبث به، وترى أنه الميزة التي يمتاز بها الأزهري على غيره. ونرى نحن أن إصلاح العلوم في الأزهر لا يتم إلا بالقضاء على هذا الأسلوب الذي يبعدها عن تحقيق ثمراتها، وتلتوي به مسائلها على المعلم والطالب حتى ينتهي منها على مثل ما بدأ به فيها، وحتى لو شاء الاثنان أن يقضيا سنة في مسألة على هذا الأسلوب لقضياها في تحقيقها، وقد

تضيق بهما عن غايتهما ، ومن غريب أمر هذا الأسلوب أنك تتعب في تذليله ما تتعب حتى تنتهى منه ، فاذا عدت إليه بعد هذا بسنة أو شهر أو يوم كنت كأنك تحاول شيئاً لم تذلله من قبل ، وأحوجك إلى مثل تعبك الأول أو أشق منه . فيالله من هذا الأسلوب العويص الذى لا يذلل ، ولله لهؤلاء المساكين الذين يشقون فيه هذا الشقاء بدون ثمرة نافعة !

ولا يفوتنا بعد هذا أن نذكر مثالا من شرح الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى هذا الجزء ، ليعرف منه القارىء نوعا من طريقته فى شرح مسائل البلاغة ، وهى طريقة يجمع فيها بين العلم والأدب ، وتحقيق المسألة وإيراد الشاهد على نحو ما كان يفعل المتقدمون قبل شيوع الطريقة النظرية فى تدوين هذه العلوم

قال الخطيب فى تعريف علم البيان (علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)

فقال فى شرحه : قد اختار السبكى أن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين ، فلا يكون الاول عنده شرطا فى الثانى كما سبق فى علم البيان ، ولا يكون كل منهما شرطا فى الثالث كما هنا ، ولكن الحق خلاف ذلك ، لأنه لا قيمة لوجوه التحسين عند فقد المطابقه ووضوح الدلالة ، ولا لوضوح الدلالة عند فقد المطابقة ، ولهذا عد من عيوب الطباق قول الأخطل :

قلت المقام وناعب قال النوى
فعصيت قولى والمطاع غراب

لأن هذا من غث الكلام وبارده

وكذا قول أبى تمام

يوم أفاض جوى أغاض تعزياً
خاض الهوى بحرى حجاك المزبد

لأنه جعل الحجى مزبدا ، ولا يعرف عاقل يقول إن العقل يزبد ، وكذلك خوض الهوى بحر التعزى من أبعد الاستعارات

وإنا نهنىء الأستاذ الصعيدى بتمام شرحه على الايضاح ، وندعو الله أن يقويه على هذا العمل المتواصل (ص)

بغداد أو المدينة المدورة

فى عهد الخلافة العباسية

كان الأستاذ النبيه بشير يوسف فرنسيس قد أخرج فى الصيف الماضى الجزء الأول من ترجمة كتاب « بغداد أو المدينة المدورة » لمؤلفه المستشرق الذائع الصيت الأستاذ « غى ليسترنج » وكنت فى وقته قد كتبت كلمة فى العدد « ١٥٣ » الصادر بتاريخ ٨ حزيران ٩٣٦ من مجلة « الرسالة » الغراء بينت فيها ما لفريق من علماء المشرقيات من الفضل الأكبر فى إخراج الآثار القيمة والأسفار العظيمة ، وقد وعدت القراء بنشر مقال أصف به الكتاب عند نشر الجزء الثانى ، وهأنذا بعد أن تناولت الجزء الثانى - وهو المتمم للكتاب - من مؤلفه الفاضل أفى بوعدى فأقول كلمتى خدمة للحقيقة والتاريخ .

لقد بذل المؤلف فى اخراج كتابه هذا جهوداً عظيمة لا تقدر بقدر حتى تمكن من إخراج كتابه إلى عالم المطبوعات بصورة متقنة مستندا إلى أوثق المصادر التاريخية وأصدقها برهانا وأقواها حجة ، وإن هذا الكتاب لهو معجم جغرافى لمدينة بغداد وفروعها وشعباتها ، ومحلاتها ، وأزقتها ، وشوارعها العامة والخاصة ، وقبورها ، وبيوتها ودورها ، وجسورها وجميع مرافقها ومساجدها ، ومعابدها ، ومدارسها ، ومعاهدها الدينية والعلمية منذ تأسيسها على عهد أبى جعفر المنصور المتوفى سنة (١٤٥ ه‍ ٧٦٢ م) حتى انقراض الدولة العباسية بهجوم المغول على بغداد واستيلائهم عليها سنة (٦٥٦ ه‍ ١٢٥٨ م) . نظرة بسيطة يلقيها القارىء على مقدمة الكتاب وثبت المصادر التاريخية التى استق منها المؤلف وألف كتابه هذا تجعله يقدر ما لهذا السفر الجليل من القيمة التاريخية العظيمة التى خدم بها المؤلف العرب والعلوم التاريخية العربية ، وبعد أن فرغ المؤلف من مقدمته دون الوقائع المهمة التاريخية منذ سنة « ١٣٢ ه‍ ٧٥٠ م » حتى سنة « ٦٤٠ ه‍ ١٢٤٢ م » بجدول ذاكرا فيه اسم السنة واسم الخلفاء والحوادث والأبنية الحادثة والمؤرخين المعاصرين . ثم قسم الكتاب إلى أربعة وعشرين فصلا بين فيها الحوادث الواقعة واحدة تلو الأخرى بصورة واضحة لا إشكال فيها ولا التباس ، وقد وضح كثيرا من الحوادث فى ثمانى خرائط تبين موقع بغداد فى مختلف القرون . وقد بلغت صفحات الكتاب ثلثمائة واثنتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط

وبعد فان الجهود العظيمة والأعمال الجبارة التى قام بها المترجم الفاضل لم تكن بأقل أهمية مما بذله المؤلف من الجهود .

ويكفيه فخراً أنه بالرغم من ان التعليم مستغرق كل وقته فانه اغتنم فرص الراحة والخلود إلى السكينة فآثر الخدمة العامة على النفع الخاص وثابر على جهاده فى الترجمة وتعقيب الحوادث من مصادرها الأصلية - رغم ندورها فى العراق - حتى اخرج ترجمته هذه إلى عالم المطبوعات باحسن صورة وأبدع أسلوب . وانى لايسعنى هنا إلا أن أقدم التهانى القلبية للمترجم الفاضل ، وأدعو اخوانه الشبان المتحمسين المخلصين إلى اقتفاء أثره والسير على منواله ليفيدوا بلادهم وأبناءها ويستفيدوا ، فان رجل الدنيا من أفاد واستفاد

(بغداد) ابراهيم الواعظ